أحلى السمر في سيرة عمر

محمد إبراهيم سليم



محمد إبراهيم سليم


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في مدرسة محمد ﷺ تربى عمر بن الخطاب كما تربى غيره من الرفاق والأصحاب .

ولقد كان عمر – رضى الله عنه – عبقريا موهوبا له جوانب شتى : دينية ، وإجتماعية ، وإدارية ، وسياسية .

وهو فوق ذلك خطيب بليغ ، فصيح مُبين ، مطبوع على الحكمة والصواب ، كما كان راوية للشعر ، مُجيداً للنقد ، مُلِمّا بأسرار البيان .

وإذا كانت الموسوعات تضيق عن أخبار عدله ، ورحمته ، وسياسته وقيادته الرشيدة الحكيمة ، وتأييده للإسلام فإن ابن مسعود – رضى الله عنه – قد لخص تاريخه فى كلمات ثلاث :

كان إسلامه فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت إمارته رحمة . ويعتبر الأستاذ العقاد عمرَ – رضى الله عنه – مؤسسا للدولة الإسلامية فلم يجد له مكانا فى التاريخ أليق به من مكان المؤسسين العظام للدول العِظام .. حيث أسس دولة الإسلام قبل ولايته الخلافة بسنين ، بل لقد كان مؤسسا لها منذ أسلم فجهر بدعوة الإسلام وأذانه ، وأعزّها بهيبته وعُنفوانه .

وفى الصفحات الأولى من علم الطبيعيات أن القوة لا تتلاشى ، وإنما تتحول إلى شكل آخر من الحركة والإهتزاز .. بتحول إلى صوت ، أو حرارة ، أو نور ، أو كهرباء ، أو غير ذلك .. ولكنها لا تندثر .

وكذلك القوة الروحية ، فإنها إن غابت عن الأبصار لا تتوارى عن البصائر ، وإن ماتت بالمعنى العامى ، فإنها تتحول بالمعنى العلمى .

ولئن انقطعت حياة عمر المادية فحياته المعنوية يَقْظى لن تموت ؟ لأنها تحولت إلى اهتزازات روحية ، تَغَلْغَلَتْ فى صدور الملايين من البشر ! فسعدت بهم أيامهم !

وقبل أن يقال : إن عمر كان أكبر فاتح فى صدر الإسلام ينبغى أن يقال : إنه كان يومئذ أكبر مؤسس لدولة الإسلام ، وإنه أسسها على الإيمان ، ولم يؤسسها على الصولجان !!

ن تاريخ عمر ، وتاريخ الدولة الإسلامية لا يفترقان ، فإذا بدأت بهذا فقد بدأت بفصل من تاريخ ذاك ، ولن يطول بك الاستطراد حتى تثوب إليه كرة أخرى ! ويقينى أن الرجل العظيم – كما قال أحد أدبائنا – كتاب خالد ، لم يوضع الدهر لجيل بعينه ، ولا لشعب بعينه ، وإنما وضع للأجيال جميعا ، وللشعوب جميعا .

يعرف الناس أوله ، ولكنهم لا يعرفون له آخرا .. يستطيعون أن يعرفوا أول هذا الكتاب حين يعرفون مولد هذا الرجل ونشأته ، ولكنهم لن يعرفوا آخر الكتاب إذا عرفوا موته ؛ لأن هذا الموت لا يختم حياة العظماء ، ولعله يبدؤها ، أو يبدأ خير أجزائها وأعظمها غَنَاءً ؛ لأنه يُزيل منها العناصر الفانية ويُبقى منها العناصر التى لا تقبل الفناء .

فإذا عرف القُرّاءأن عمرَ – رضى الله عنه – ولد عام كذا ، ولَقِيَ ربّه عامَ كذافإنهم قد بدوا كتاب عمر ، ولكنهم لن يختموه ، فالقيم النبيلة والمعانى السامية ، تظل على الدهر باقية ! من هنا وقع على سيرته اختيارنا !! وبالمعانى الإنسانية الرفيعة التى يمثلها يقوى ويتماسك بنياناً ولقد عرضت أن أضع فى نهاية الكتاب قصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل التى سجل فيها مناقب عمر وراح يحكيها للشاهدين وللأعقاب من بعدهم أملا فى أن يستفيد منها طلابنا من نابغة الإسلام كى تجلو لحاضرها آثار ماضيها ، وتتنبه عيون الغفاة ! وفى هذه اللحظات يكثر الحديث عن « المسلمين بين الأمس واليوم » .. وكثيرا ما نتساءل :

أين نحن على الطريق ؟

وكم يسأل كل نفسه : أين هو فى نفسه ؟ وأين هو فى أمته ؟ وأين هو فى العالم ؟

وإن مقارنة أمتنا بغيرها من الأمم – اليوم – فى نواح معينة لتدلنا على الدرجة التى تقف عليها الأمة فى سلم الرقى العام .

كما أن مقارنتها نفسها فى العصر الحاضر بعصرها السابق لتدلنا على إتجاه سيرها : إلى الأمام أو إلى الخلف .

وإذا كنا نشهد الحاضر ونعيشه ، فإن الكثيرين أمام المعاناة اليومية ، والمشكلات الحياتية يغيبون عن الماضي على الرغم منهم ، فلا يجدون لديهم

من الوقت والجهد ما يساعدهم على التامل ، والدرس ، والبحث ، والمقارنة لكى تصل أمتنا حاضرها بماضيها ، وتستعيد عزتها ، وكرامتها ، ومجدها وسلطانها !

وإذا هم – بعد العناء اليومى – يُسْلمون أنفسهم لما تبثه الأقمار الصناعية من لهو وطرب حتى يغلبهم النوم .. فينامون عن مطالب أمتهم ، ووسائل عزتها وكرامتها !!

وأمام هذا .. وأمام ما يتعرض له عالمنا العربى والإسلامى من مخاطر ، وما يهب عليه من عواصف تفرض علينا جميعا أن نستجمع أسباب القوة ، ونستلهم ماضينا المجيد لم أجد بعد كتاب الله – سبحانه – وسنة خير المرسلين ﷺ وصاحبه فى الغار – رضى الله عنه – أفضل من سيرة عمر ، أقدمها لمن يهمهم الأمر ، وكلنا يهمنا الأمر !! فى هذا المنعطف التاريخى الذى تمر به أمتنا !

ولن أسرد أحداث التاريخ ، ولكنى سوف أقوم بتجميع الأخبار ، والأقوال ، والمواقف بعضها إلى بعض لأعين القارىء على معايشة تلك الشخصية التى ملأت الدنيا وشغلت الناس فى الشرق والغرب ! ، ولأبرز مَواطن القدوة لمن شاء أن يعبر المحنة ، ويتخطى الصعاب والعقبات !

إننى أقدم لك :

« **أحلى السمر** » .

فى مناقب الخليفة العادل عمر .

فإذا ما وجدت نفسك تقارن بين أمس واليوم بعد معايشتك لسيرة عمر .. وإذا ماراح سُمّار الليالى يتساءلون : كيف الطريق إلى الإصلاح ؟

فسوف يجدون لديهم الحل والجواب الشافى .. وإذا هم على الطريق ومن سار على الدرب وصل !

والباحث المتأمل فى أصل كلمة « السمر » يجد أن الدلالة الأصلية لها : ضوء القمر ، وما يُشيعه من نور يبدد أشياء من الظلام المخيم !

وأعتقد أن الليالى القمرية التى يبلغ فيها الضوء هذا القدر المتوسط هى التى كان العرب يُحيونها بالحديث ، أى هى أصل السمر ، ولا ينفى ذلك أنهم – بعدما ولعوا به ، واعتادوه – تجاذبوه فى الليالى المقمرة وغيرها .

وكل متحدث بالعربية يعرف أن السمر هو حديث الليل خاصة ، ولقد راحت الأقمار الصناعية تبارى القمر الطبيعى فى لياليه بما تبثه من برامج ومسلسلات تُلهى سُمّار الليالى عما كانوا فيه يسمرون !

وإذا كان السمر هو حديث الليل الذى يستهدف التسرية عن المستمعين وإمتاعهم ، وتصفية أرواحهم مما شابها ، ونفوسهم مما ران عليها ، فإن **« أحلى السمر فى سيرة عمر »** سوف يعيد إلى وجودهم وجودا ، وإلى حياتهم حياة ، وإلى أرواحهم صفاء وإنتعاشا ... ولا أراك بعد أن تقرأ هذا الكتاب إلا مرددا : **لقد كانت روحى بعيدة عنى ، فأصبحت اليوم قريبة منى !**

إن عودة الروح هى الأمل المنشود ، وهى طريق التقدم والنصر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ،،،

محمد إبراهيم سليم

القاهرة فى رجب ١٤١٠ هجرية
فبراير ١٩٩٠ ميلادية



أَحْلَى السَّمَـــر !!

قال الـــراوى ..

صحيفة البيانات

الاسم : عمر بن الخطاب بن نفيل . يلتقى مع رسول الله ﷺ في الجد السابع .

ترتيبه : هو الثامن من بين العشرة المبشرين بالجنة فى ترتيب أنسابهم متصلة بنسبه ﷺ قربا وبعدا .

ولكنه الرجل الثالث بعد رسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكر .

أمه : حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومحلها من قريش فى الذروة والسّنام .

مولدهُ : ولد بعد الرسول ﷺ بثلاث عشرة سنة[1].

إسلامه : أسلم وهو ابن ست وعشرين سنة .

ولايته : وُلّى سنة ثلاث عشرة يوم مات أبو بكر ، وقبض سنة أربع وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، ومات مقتولا ، طعنه أبو لؤلؤة الفارسى فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو فى الصلاة ، وبقى ثلاثة أيام بعدها ، وصلى عليه صهيب بن سنان الرومى ودفن فى حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ وأبى بكر .

كاتبه : عبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات ، وزيد بن ثابت الأنصارى .

حاجبه : مولاه « يرفأ » . وقيل : اسمه بشر .

قاضيه : يزيد بن أخت الهمزة ، وبالكوفة أبو أمية شريح بن الحارث الكندى .

لقبه : الفاروق . (فرق بين الحق والباطل) .

كنيته : أبو حفص (أبو الأسد) .

أخوّته : ذكر ابن الجوزى عن محمد بن إبراهيم قال :

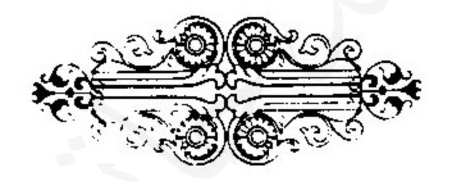
آخى النبى ﷺ بين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما .

---

(١) نهاية الأرب للنويرى الجزء التاسع عشر .

وقال سعد بن إبراهيم آخى بين عمر وبين عويم بن ساعدة . وقال عبد الواحد بن عوف : آخى بن عمر وعتبان بن مالك . وقال الواقدى : ويقال : بين عمر وبين معاذ ابن عفراء .

والآن تعال نتابع خطاهُ على طريق الحياة !



ملامح وسِمَات !

عمر قبل الإسلام وبعده :

قال الراوى : البطولة والعبقرية تنمو مع الشخصية ولا تتخلى عنها .. قيل له – رضى الله عنه :

أخبرنا عن أيام جاهليتك . فقال :

ما داعبتُ أَمَةً ، ولا جالستُ إلا لُمِةً[1]، وما دأبت إلا فى حملِ جَريرَة[2]، أو خَبلِ مُغِيرة .

أما أيامْ الإسلام فكفى برُغائها مناديا[3].

عمر والفروسية :

وكان عمر – رضى الله عنه – مثلا فى قوة الجسم كما كان مثلا فى قوة الروح ، ولا شك أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

روى أن عمرَ – رضى الله عنه – كان يأخذ بيده اليمنى من الفرس أذنه اليُسْرى ثم يجمع جَراميزَه[4]، ويَثِبُ فكأنما خلق على ظهر فرس .

مَنِ السيد ؟ :

والسيادة فى رأى عمر – رضى الله عنه – لها مفهومها الإسلامى ..

قال عمر – رضى الله عنه – : السيّد هو : الجَوَاد حين يُسْأل ، والحليم حين يُستَجْهَل[5] ، والبارٌّ بمن يُعَاشر !! .

---

(١) اللُمَة : التِربُ والنظير . النهاية .

وفى البيان والتبين ٣ : ٢٧٩ : فما نادمت فيها غير لُمة ، ولا هممت بأمة ، ولا رآنى راءٍ .

(٢) الجريرة : الجناية والذنب ، وفى المثل « فى الجزيرة تشترك العشيرة » . يضرب فى الحث على المواساة والتعاون .

(٣) « كفى برغائها منادياً » ، مثل يقال لمن يجيب المضطر فوراً ، كما يجيب الراعى الإبل عند رغائها . اللسان . وللمثل تفسير آخر فى جمهرة الأمثال : ١٥٤ .

(٤) الجراميز : قيل : اليدان والرجلان ، وقيل : جملة البدن . النهاية .

(٥) استجْهل ، استُخِفّ به ، أو حُمِلَ على الجهل .

بعض الأحاديث الدالة على فضله

قال الراوى : وكثيرة هى الأحاديث الدالة على فضل عمر – رضى الله عنه – وقد اخترت منها ما يشير إلى جوانب شخصيته وما كان يمتاز به ..

دين عمر :

الحديث الأول : أخرج الإمام أحمد والشيخان ، والترمذى والنّسائى عن أبى سعيد الخُدْرى – رضى الله عنه – قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بينا أنا نائم رأيت الناسَ عُرِضوا علىّ ، وعليهم قُمُص**[1]**، فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما يبلغ دون ذلك . وعُرِضَ علىَّ عُمَر وعليه قميص يجره** . قالوا : فما أوَّلته[2] يا رسولَ الله ؟ قال : **الدّين** »[3].

شفافيته :

الثانى : أخرج الإمامان : أحمد والبخارى – عن أبى هريرة ، وأحمد ومسلم والترمذىّ والنسائىّ عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « **لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناسٌ مُحَدَّثون ، فإن يكن فى أمتى أحد ؛ فإنه عمر** » .

وأخرج البخارى عن ابن عمر :

« ما سمعت عُمَرَ لشىء قطّ يقول : إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن »[4].

علمه :

الثالث : أخرج الشيخان عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « **بينا**

---

(١) قُمُص : جمع قميص .

(٢) التأويل : التفسير .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٣/٨٦) ، (٥/٣٧٤) ، والبخارى فى صحيحه برقم (٢٣ ، ٣٦٩١ ، ٣٠٠٨ ، ٧٠٠٩) ، ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم (١٥) ، والنسائى فى سننه ، كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان (٨/١١٣) .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند (٦/٥٥) ، والبخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم (٣٦٨٩) ، ومسلم فى فضائل الصحابة حديث رقم (٢٧) . والترمذى فى صحيحه ، كتاب المناقب ، (١٣/١٤٩) وقال : حديث صحيح .

أنا نائم شربت – يعنى اللبن – **أنظر الرِّىَّ**[1] **يجرى فى أظفارى ، ثم ناولته عمر .**

قالوا : فما أوّلته يا رسولَ الله ؟

قال : **العلم »**[2].

غيرته :

الرابع : أخرج أحمد والشيخان عن جابر – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال :

« رأيتني دخلت الجنة ، فإذا أنا بالرُّمَيْصَاءِ امرأة أبى طلحة – رضى الله عنهما – وسمعت خشْفًا[3] **أمامى ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟! قال : هذا بلال .**

ورأيت قصراً أبيض بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا القصر ؟

قالوا : لعُمَرَ بنِ الخطاب .

فأردت أن أدخلَه أنظرَ إليه ، فذكرت غَيْرَتك »[4].

أحب الرجلين إلى الله :

الخامس : أخرج أحمد فى مسنده ، والترمذىّ فى سننه ، وابن سعد فى طبقاته ، والبيهقىّ فى الدلائل ، وأبو نعيم فى الحِلية عن ابن عمرَ وصححه ابن حِبان قال :

قال النبى ﷺ : **« اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأحبِّ الرجلين إليك : عمرَ أو أبى جهل »**[5].

جعل الله الحق على لسانه :

السادس : أخرج أحمد والترمذى عن ابن عمر ، وأبو داود والحاكم عن أبى

---

(١) الإرتواء .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، حديث رقم (٣٦٨١) ، ومسلم فى صحيحه ، فضائل الصحابة حديث رقم (١٦) .

(٣) صوتاً .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، مناقب عمر بن الخطاب ، حديث رقم (٣٦٧٩) ، ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم (٢٠) .

(٥) أخرجه أحمد فى المسند (٩٥/٢) والترمذى فى صحيحه ، كتاب المناقب (١٤٣/١٣) ، وابن ماجه فى سننه حديث (١٠٥) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٦١/٥) .

ذر ، وأبو يعلى ، والحاكم عن أبي هريرة ، والطبراني عن بلال ، وعن معاوية ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله جعل الحقَّ على لسان عمرَ وقلبه** ».

قال ابن عمر : وما نزل بالناس أمرٌ قطّ ؛ فقالوا وقال : إلا أنزل القرآن على نحو ما قال عمر »[1].

صفاؤه وطهارة قلبه :

السابع : أخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر – رضى الله عنه – ، والطبرانى عن عصمة بن مالك – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كان بعدى نبى لكان عمرُ بن الخطاب** »[2].

وأخرجه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – وغيره ، وابن عساكر من حديث ابن عمر.

الشيطان يسلك طريقا غير طريقه :

الثامن : أخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا بن الخطاب ، والذى نفسى بيده ما يقيك الشيطان سالكا فَجًّا**[3] **قط إلا سلك فجًا غير فجِّك** »[4].

غلق الفتنة :

التاسع : أخرج الترمذى عن عثمان بن مظعون – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **هذا غلق الفتنة** – وأشار بيده إلى عمر – **لا يزال بينكم وبين**

---

(1) أخرجه أحمد فى المسند (2/53 ، 401) ، والترمذى فى صحيحه ، كتاب المناقب ، فى مناقب عمر بن الخطاب . انظر : صحيح الترمذى (13/143) ، والحاكم فى المستدرك (3/87) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . والطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد للهيثمى (9/66) وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن صالح وقد وثق على ضعفه .

(2) أخرجه أحمد فى المسند (4/154) . والترمذى فى صحيحه (13/145) وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان . والحاكم فى المستدرك (3/85) ، والطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد للهيثمى (9/67) وقال الهيثمى : فى الصحيح بعضه . وعبد الرحمن بن أبى زياد : لين الحديث .

(3) طريقا .

(4) أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (3683) ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة . حديث رقم (22)

الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم »[1].

سراج أهل الجنة :

العاشر : أخرج البزّار عن ابن عمر ، وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ، وابن عساكر عن الصعب بن جثّامة أن رسول الله ﷺ قال : « **عمرُ سراجُ أهل الجنة** »[2].

نـزول الـقـرآن بـمـوافـقـتـه

قال ابن الجوزى :

عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : وافقت ربى - عز وجل - فى ثلاث :

قلت : يا رسول الله ، لو إتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلّى ؟! فنزلت : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلّى** ﴾ [البقرة : ١٢٥] وقلت : يا رسول الله : إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ! فنزلت آية الحجاب[3].

وإجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه فى الغيرة فقلت لهن : ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن** ﴾[4] فنزلت كذلك .

---

(١) أخرجه الطبرانى والبزار ، كما فى مجمع الزوائد للهيثمى (٧٢/٩) وقال : فيه جماعة لم أعرفهم ويحيى بن المتوكل : ضعيف .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٣٣/٦) وقال : غريب من حديث مالك تفرد به عن الواقدى ، والبزار كما فى مجمع الزوائد للهيثمى (٧٤/٩) وقال : فيه عبد الله بن إبراهيم ضعيف .

(٣) وهى قوله تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

(٤) [التحريم : ٥] .

خطوات عمر من الظلمات إلى النور

إســـلام عمــر

كان إسلام عمر فتحاً

من هنا كانت البداية !!

قال الراوى : حينما بُعث الرسول ﷺ حملت له قريش العداوة ، وراحوا يقضون أمام رسالته بكل سبيل !!

وسار عمر فى دربهم ، بل حملَ العِبء الأكبر من العداوة الصريحة ، وظاهرَه فى ذلك أبو جهل ؛ وكان لشدة مِراسهما ومكانتهما المنيعة فى قريش ما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول :

« **اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام** » يعنى أبا جهل . (أخرجه أحمد فى مسنده) وصححه ابن حبان .

واستجيبت دعوة الرسول ﷺ فى أحب الرجلين إلى الله وأسلم عمر بن الخطاب فى ذى الحجة لست سنين من البعثة ، وبإسلامهُ أتمّ عدة أربعين رجلا مسلما ، ومعهم ثلاث وعشرون امرأة ، وعمره إذْ ذاك ستة وعشرون عاما .

فكان إسلامه فتحاً وهجرته نصرا ، وإمارته رحمة ؛ وروى عن ابن عباس أنه قال : لما أسلم عمر ، قال المشركون : قد انتصف القوم مِنّا ، وأنزل الله : ﴿ **يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [الأنفال : ٦٤] فكيف دخل الإيمان قلبه ؟

كيف وقع الإسلام فى قلبه ؟!

قال الراوى * :

عن شُرَيح بن عبد الله قال عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح «**سورة الحاقّة**» ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن . قال : فقلت : والله هذا شاعر – كما قالت قريش .

---

* ابن الجوزى .

قال : فقرأ : ﴿ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ [٤٠ - ٤١].

قال : قلت : كاهن ، قال : ﴿ ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ... ﴾ [٤٢ - ٤٧] إلى آخر السورة قال : فوقع الإسلام فى قلبى !



على الطريق ..

قال الراوى : ومرت أيام .. لم يعلن فيها عمر إسلامه .. فإن كل شيء بقضاء !! ولم تحل الهداية بعد فى قلبه !

وإذا حلت الهدايةُ قلباً نشطت للعبادة الأعضاء !!

يتحدث « ناصر الدين دينيه » فى كتابه محمد رسول الله عن إسلام عمر فيقول :

أقنع الكفار عمر – وكان جافًا غليظا إذْ ذاك – بأن فى القضاء على محمد إنقاذا لوطنه ، فتقلد عمر سيفه واتجه – يتطاير الشر من عينيه – نحو « الصفا » حيث يعتقد وجود الرسول ﷺ .

وبينما هو سائر فى طريقه إذ لقيه نُعَيم الذى كان يُسِرّ إسلامه فَرَقا[1] من قومه ، فقال له :

– أين تريد يا عمر ؟

– أريد محمدا ، هذا الذى فرّق أمر قريش ، وحقِّ آلِهَتِنا سوف لا أهدأ حتى أقتله !

فقال له نُعَيم :

– لقد غرتك نفسك يا عمر ؛ أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت محمدا ؟ ثم أضاف – ليحوله عن مشروعه البشع : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرَهم ؟!

قال : وأى أهل بيتى ؟

– أختك فاطمة ، وزوجها سعيد بن زيد ، فقد أسلما !

عند هذا اتجه غضب عمر وجهة أخرى ، وعدا مسرعا نحو مسكن أخته فاطمة ، وكان فيه حينما وصل عمر ، المسلم المتحمس « خَبّاب » ، ومعه صحيفة فيها « سورة طه » يُقرئها إياها وزوجها ، فلما سمع دقّ عمر القوى على الباب ، لجأ خبّاب إلى حجرة

---

(١) فرقا : خوفا ورعبا .

مجاورة ، وأخفت فاطمة الصحيفة تحت ردائها .

سمع عمر – حينما دنا إلى البيت – قراءة خبابٍ عليهما ، فلما دخل قال فى صوت خشن :

ما هذه الهينمة[1] التى سمعت ؟

قالا له : ما سمعت شيئا !

قال : بلى . لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، ثم لم ينتظر إجابة أو شرحا ، بل هجم على ختنه[2]، وطرحه أرضا ، وجلس على صدره آخذا بلحيته ، فألقت فاطمة بنفسها على أخيها ، وقامت بمجهود يائس لتكفّه عن زوجها ، وصاحت : « نعم أسلمنا ، وما علمتَه حق » !!

عند ذلك طار صواب عمر ، ولم يتمالك أن لطمها – فى غِلظة – على وجهها فشجّه[3]، فانقلبت فاطمة الشجاعة غرقى فى دمها ، بيْد أنها لم تهن ولم تضعف ، بل استمرت تمد إليه يدها وتكرر : « نعم ، لقد أسلمنا يا عدوّ الله ، نعم آمنا بالله ورسوله ، فاصنع بنا ما تريد » !!

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ، وأثرت فى نفسه شجاعتها التى لا تقهر مع أنها ضعيفة ، خجل مما صنع ، وطلب فى صوت أُشرِبَ بالوداعة :

« أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفًا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ؟ » !

فقالت له أخته : « إنا نخشاك عليها » !

فقال : « لا تخافى » .

وحلف لها بآلهته ليردّنها ، إذا قرأها إليها .

ورغم أن فاطمة طمعت فى إسلامه ، فإنها اعترضت قائلة : يا أخى ، إنك نجس على شِرْكك ، وإنه لا يَمَسُّها إلا طاهر . قام عمر – فى وداعة – واغتسل ، فأعطته الصحيفة التى بها « سورة طه » والتى تبدأ :

---

(١) الهينمة : صوت كلام لا يفهم .
(٢) ختنه : صهره وزوج أخته .
(٣) شجه : جرحه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ۝ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ۝ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾
[طه : ١ - ٣] .

وما إن قرأ عمر الآيات الأولى - وكان كاتبا بليغا - حتى قال : « ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمه !! » .

فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له :

« يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول :

« **اللهمّ أيّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب** » فقال له - عند ذلك - عمر :

« سِرْ بى إلى محمد ؛ فإنى أريد أن أعتنق الإسلام ، أين هو ؟ » .

فهداه خباب مستبشرا متهللا إلى بيت الأرقم عند الصفا . بينما أصحاب رسول الله ﷺ يُصغون إلى كلامه ؛ فتتشربه أرواحهم ، إذا بالباب يدق دقًّا عنيفًا ، فقام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب ، فرأى الفارس الرهيب متوشى سيفه ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع يُخبره الخبر ، فقال الرسول ﷺ وهو هادىء مطمئن :

« **إيذن له ، فإن كان يريد خيرا بذلنا له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه** » .

إمتثل الصحابى أمره ، ودخل عُمَر ، فنهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ بُحُجزته[1] ، ثم جبذه جبذةً شديدة وقال : « **ما جاء بك يا بن الخطّاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزلَ اللهُ بك قارعة** » .

فقال عمر - فى تواضع ليس من عادته - :

« يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله » .

لم يكن عمر بالرجل الذى يصبر ويُسِرّ إسلامه ، فما إن وصل إلى الطريق حتى أوقف أولَ مارّ به - وكان جميل بن مَعْمَر الجمحى - وقال له : « أعَلِمْتَ يا جميل

---

(١) بحجزته : بمجمع ثيابه ، وجبذه أى جذبه وهما بمعنى .

أني أسلمت ، ودخلت فى دين محمد ؟! » .

وكان جميل ثرثارًا بطبيعته ، فما إن سمع كلام عمر حتى جرّ رداءه وعَدَا ، حتى إذا كان بباب الكعبة صرخ بأعلى صوته :

« يا معشرَ قريش ، أتينكم بنبأ مُريع !! إن ابن الخطاب قد صبأ » .

فقال عمر – وكان يتبعه – :

« كذبت ، ولكنى قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله » .

عند ذلك ثار القرشيون ثورة عنيفة ، وهجموا على عمر ، فاستقبلهم ثابت الجنان ، وما برح يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم ، فاضطر المحاربون إلى هدنة قصيرة المدى ، فقعد عمر ، وقام أعداؤه على رأسه ، فقال لهم – فى إحتقار وشمم :

« إفعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلثمائة رجل فقط لأنزلناكم عن الكعبة ، ولما وجدتم فيما بعد إلى إستردادها من سبيل » .

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلّة حبرة[1]، وقميص مُوَشّى[2]، حتى وقف عليهم فقال :

« ما شأنكم ؟ » . قالوا :

« صبأ عمر » . فقال :

« فمَهْ[3]؟ رجل اختار لنفسه أمرا ، فماذا تُريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبكم هكذا ؟ » ؛ فتخلّوا عنه خوفاً من الثأر ، لا اتباعا لمنطق العقل ، ولكأنّهم كانوا ثوبًا كُشِط عنه .

كان رسول الله ﷺ – وحده هو الذى يجرؤ على الصلاة فى الكعبة علنا ، فلما أسلم عمر ، عزم على محاكاته فى ذلك ، فكان يذهب كل يوم إلى الكعبة ، ويقف كما

---

(١) ضرب من ثياب اليمن .
(٢) مُوَشّى : مطرّز .
(٣) مَهْ : كُفّوا .

يقف رسول الله ﷺ بين الركن الذى به الحجر الأسود ، والركن الذى يتجه نحو اليمين . وكان يصلى متجها إلى بيت المقدس ، مثل رسول الله ﷺ .

شجع ذلك كثيراً من المسلمين ، فجاءوا يصلون بجواره تحت سمع المشركين وبصرهم ، وحالت هيبة عمر ، الذى استحق بجدارة لقب الفاروق - دون البطش بهم !

ليس عجيبا أن يقول ابن مسعود فيما تحدث عنه الرواة :

كان إسلام عمر فتحا !

نعم كان فتحا حقا ؛ لأنه أتاح للمسلمين أن يُعْلنُوا دينَهم ، وأن يُصَلّوا أمام الملأ من قريش وهم آمنون .

عمر يُرَجّح كِفّةَ المسلمين :

وكان المسلمون فى بدء إسلامهم يتعرضون لألوان من القسوة والتعذيب من أعداء الله حتى إذا أسلم عمر صاروا أعزة ..

قال ابن عباس : لما أسلم عمر - رضى الله عنه - قال المشركون : انتصَف القومُ منا !!

قال الراوى : وبعد أن أسلم عمر قال : فقلت : يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن مِتْنا وإن حَيِينا ؟ قال : بلى . والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن مِتّم وإن حييتم .

قلت : ففيم الاختفاء ؟! ، والذى بعثك بالحق لتخرجن ، فأخرجناه فى صفين : حمزة فى أحدهما ، وأنا فى الآخر له كَدِيدٌ ككديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد .

قال : فنظَرَتْ إلىّ قريش ، وإلى حمزة ، فأصابتهم كآبة لم يُصِبْهم مثلها ، فسمانى رسول الله ﷺ الفاروق »[1].

لقد فرق بين الحق والباطل .. بين الإيمان والشرك .. بين الذّلة والضعف .. بين الاختفاء والعلانية .

كانت الدنيا ظلاما حوله   وهو يهدى بخطاه الحائرينا

---

(١) قال فى النهاية بعد أن ساق الحديث . الكديد : التراب الناعم ، فإذا وطىء ثار غباره ، وهو فعيل بمعنى مفعول . والطحين : المطحون المدقوق .

وهكذا كان إسلامُه فتحا !

وبعد .. فلقد كان السلف الصالح – رحمهم الله – يعلمون أولادهم حُبَّ أبى بكر وعمر – رضوان الله عليهما – كما يعلمون السورة من القرآن .

ومن هذا المنطلق رحت أدعوك وأسرتك إلى لقاء كريم تطيب به لَيَالِيكُم ، وتَنْعَمُ رواحُكُم بصحبة مَنْ بَشّره الرسول ﷺ بالجنة ..

ومن قال له النبى ﷺ : « **يا أخِى أشْرِكْنَا مَعَك فى دعائك** »*.

ومن نزل القرآن بموافقته فى أكثر من موضع*.

ومن قال عنه النبى ﷺ « **عمر بن الخطاب سراج الجنة** »*.

ومن « جعل الله الحقَّ على لسانه وقلبه »*.

ومن شهد له الرسول ﷺ بأنه لا يحب الباطل*.

ومن كان أشدّ أُمّةِ محمدٍ ﷺ فى أمرِ الله*.

ومَنْ رضاه عِزّ وغضبُه حكم*.

ومن يَغْضَبُ اللهُ إذا غضب*.

ومن قال فيه النبى ﷺ : « **لو كان بعدى نبى لكان عمر** »*.

من حدّث جبريلُ النبى ﷺ بفضائله فى السماء*.

ومن لو وضع فى كفة وجىء بجميع الأمة فى كفة رجحت كفته*.



* كل ما أشير إليه من فضائل عمر نصت عليها أحاديث ذكرها ابن الجوزى فى سيرة عمر

سمات وملامح

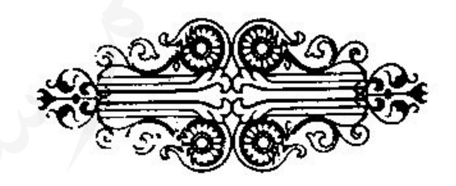
رضى الله عنه وأرضاه !!

يقول المسعودى فى مُرُوجِه :

وكان متواضعا ، خشن الملبس ، شديدا فى ذات الله ، واتبعه عمّالُه فى سائر أفعاله وشِيَمِه وأخلاقه ، كلٌّ يتشبه به ممن غاب أو حضر .

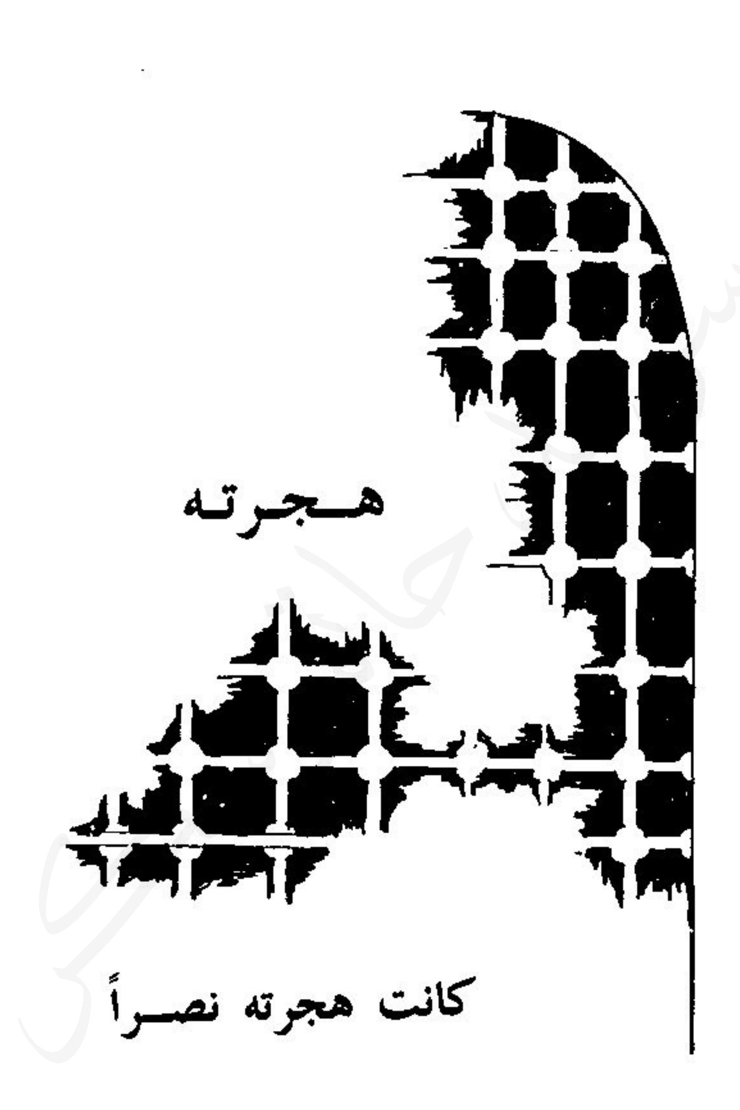
وكان يلبَس الجُبّةَ الصوفَ المرَقّعَة بالأديم[1] وغيره ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القِربةَ على كتفِه مع هيبةٍ قد رُزِقها .

وكان أكثر رِكابه الإبل ، ورَحْلُه مشدود بالليف ، وكذلك عماله مع ما فتح الله عليهم من البلاد ، وأوسعهم من الأموال .



(١) الجلد .

هجرته



كانت هجرته نصراً

قال الراوى : وكانت هجرته نصرا ..

نعم كانت هجرته نصرا .. فقد كان أنصح أعوان النبى ﷺ فى المدينة لله ورسوله والمسلمين ، وأغلظ أصحاب النبى ﷺ على اليهود والمنافقين !

وظل عمر بعد إسلامه قوى الجرأة ، شديد الوطأة على المشركين ، حتى أذن الله بالهجرة لرسوله ولأصحابه ، فجعلوا يهاجرون مُستَخْفين إلا عمر بن الخطاب ، فإنه هاجر من مكة إلى المدينة على مرأى ومسمع من قريش ، وتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يديه أسهما ، واختصر عَنَزَته[1] ، ومضى ، قِبَل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى متمكنا ، ووقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت الوجوه ، لا يُرْغِمُ الله إلا هذه المعاطس !

من أراد أن تثكله أمه ، أو ييتم ولده ، أو ترمّل زوجه فليتبعنى وراء هذا الوادى ، فلم يتبعه أحد ، ثم مضى لوجهه !

وجعل بعد الهجرة يذود عن الحق ، ويصول على الباطل ، وينافح عن الإسلام ، وكان مضرب المثل فى الشجاعة ، وحسن الصُّحبة ، والوفاء للصادق الأمين ﷺ وشهد معه كل غزواتِهِ وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين له ﷺ .

رثاء عمر للرسول ﷺ :

قال الراوى : لما توفى رسول الله ﷺ رثاه عمر بقوله : بأبى أنت وأمى[2] يا رسول الله ، لقد كان لك جذع تخطبنا عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتُسْمِعَهم ، فحنّ الجذع لفراقِك حتى جَعلتَ يدك عليه فسكن ، فأهلُك أولى بالحنين إليك حين فارقتَهم .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ، أن جعل طاعتك طاعته فقال :

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠].

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده : أن بعثك آخر

---

(١) أطول من العصا وأقصر من الرمح فى أسفلها زُجّ كَزُجّ الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) أفديك بهما .

الأنبياء ، وذكرك فى أولهم ، فقال : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وعيسى ابن مريم** ﴾ [الأحزاب : ٧] .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده : أن أهلَ النار يوَدّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يُعَذّبون يقولون :

﴿ **يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾ [الأحزاب : ٦٦].

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان موسى – عليه السلام – أعطاه الله حجراً تتفجّر منه الأنهار ، فما ذلك بأعجبَ من أصابعك حين نبع الماء منها !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان سليمان بن داود – عليهما السلام – أعطاه الله ريحًا غدوها شهر ، ورواحها شهر ، فما ذلك بأعجب من البَراق حين أسريت عليه إلى السماء السابعة ، ثم صليت الصبح فى ليلتك بالأبطح !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان عيسى ابن مريم – عليه السلام – أعطاه الله إحياء الموتى ، فما ذلك بأعجب من الشاة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت : لا تأكلنى ؛ فإنى مسمومة !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد دعا نوح – عليه السلام – على قومه فقال :

﴿ **ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دَيّارا** ﴾ [نوح : ٢٦] ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا !

فلقد وُطِىء ظهرك ، وأُدْمِى وجهك ، وكُسِرت رَبَاعيتك[١]، فأبيت أن تقول إلا خيرا .. قلت :

« **اللهّم اغفر لقومى ؛ فإنهم لا يعلمون** » .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد اتَّبعَك فى قِلّةِ سِنِيِّك ، وقِصَر عمرك ما لم يتّبع نوحا عليه السلام فى كثرة سنيّه ، وطول عمره ، فلقد آمن بك كثير ، وما آمن به إلا قليل !

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ، لما جالستنا ، ولو

---

(١) الرَّباعية : السن بين الثنية والناب ، وهى أربع : رباعيتان فى الفك الأعلى ، ورباعيتان فى الفك الأسفل .

لم تواكل إلا كفؤاً لنا لما واكلتنا ، ولبست الصوف ، وركبت الحمار ، وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض تواضعا منك ﷺ .

قال الراوى : ولما لحق – عليه السلام – بربه كان لعمر أكبر الفضل فى الإسراع ببيعة أبى بكر حسْمًا للنزاع فى أمر الخليفة ، وخوفا من أن يتشتت الأمر ، وكان لأبى بكر بمنزلة الوزير الأول ؛ يُشير عليه ويُعينه ، وكان أبو بكر يُحيل عليه فصل القضايا ، فكأنه كان قاضيه ، وإن لم يتسم باسم القاضى .

وقد أفادته صحبة أبى بكر الأناةَ فى الأمور ، والترفق فى الأحكام !.

ولما أحس أبو بكر بدنو أجله رأى أن ينتخبَ خليفته قبل موته ، ورأى أن عمر لذلك أهلا ، ولكنه أحب أن يستشير فيه كبار الصحابة ، فدعا عبد الرحمن بن عوف ، وقال له :

أخبرنى عن عمر ، فقال :

يا خليفة رسول الله ، هو – والله – أفضل من رأيك فيه ، ولكن فيه غِلظة !

فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه ...

ثم دعا عثمان بن عفان ؛ فقال :

يا أبا عبد الله ، أخبرنى عن عمر ، قال :

اللهم إن علمى به أن سريرَته خيرٌ من علانيته ، وأن ليس فينا مثلُه ..

واستشار غيرهما ، ولما اطمأن إلى المشورة عهد إلى عمر بالخلافة من بعده .

تُرى كيف كان عمر فى خلافته ، وإمارته ؟!





إمــارتـه

كانت إمارته رحمة

قال الراوى : وكانت إمارته رحمة ، فقد أتاح للمسلمين أثناء خلافته لونا من الحياة مازالت الأمم المتحضرة الآن فى الغرب مقصرة عن بلوغه على شدة ما تجتهد ، وتجاهد فى سبيله ، ومازال المسلمون فى هذه الأيام يرون هذا اللون من الحياة التى أتاحها عمر للناس حُكْما ولا يدرون متى يصبح حقيقة ؟!!

فعندما توفى أبو بكر – رضى الله عنه – سنة ١٣ من الهجرة ، فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية ، وأصبحَ عمر خليفة من بعده ، بسط ظلَّ الإسلام على كثير من الأقطار ، ونصر الحق والعدل ، وسَهِر على مصالح الرعية بعطف وإخلاص وإيمان ، وسار فى الناس سيرة رشيدة منقطعة النظير فى سياسة الدين والدنيا ، جعلته سيد العادلين ، وإمام العباقرة من الحكام .

● وكان عمر أول من لقب بأمير المؤمنين ، وذلك أن المغيرة بن شعبة قال له :

يا خليفة الله ، فقال عمر :

ذاك نبى الله داود – عليه السلام – فقال المغيرة :

يا خليفة رسول الله ، فقال عمر :

ذاك صاحبكم المفقود (يعنى أبا بكر) .

فقال المغيرة : يا خليفة خليفة رسول الله !

فقال عمر : ذاك أمر يطول !

فقال المغيرة : يا عمر .

فقال له : لا تبخس مقامى ! أنتم المؤمنون وأنا أميركم .

● وكان عمر أول من استقضى القضاة بل كان من أبرز أعماله تولية القضاة فى الأمصار ، وقد كان العامل من قبل هو الذى يقوم بأمر القضاء إلى جانب الإمامة والقيادة والسياسة ، فبعد أن اتسعت الفتوح ، وكثرت المشاغل اقتضى الأمر تعيين القضاة ، وقد رسم لهم مبادىء الحكم وقواعد العدل . فساروا على نهجه ، ونشروا العدل فى كل مكان !

المساواة أمام القضاء

قال الراوى : لقد سبق عمر - رضى الله عنه - عصره بما قرره من مساواة أمام القضاء !

وقد جاءت الثورة الفرنسية بعد الإسلام بزمان لتنادى بالمساواة هدفا من أهدافها .

ولكن الإسلام كان قد تخلص من هذا كله منذ زمن بعيد وكان حريصا على أن يسوى بين الفاتحين وأهل البلاد المفتوحة ، فقد ولى عمرو بن العاص حكم مصر بعد الفتح ، وتجادل ابن عمرو ، وابن أحد أبناء الفقراء ، فاعتدى ابن الأمير على ابن الفقير ، وشكا المعتدى عليه إلى عمر بن الخطاب ، فأرسل يقرع عمرو بن العاص : « متى إستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! » .

ولقد كان عمر - رضى الله عنه - شديداً حقًّا فى إقرار هذه المساواة لكيلا يشعر أحد الذين دخلوا الإسلام حديثا بأنه أقل درجة ، ولكيلا يشعر أحد السابقين ، أو القرشيين بأن السبق إلى الإسلام ، أو الإنتماء إلى قريش يمنحه إمتيازًا مًّا ، فتنهار قاعدة العدالة التى هى أحد أركان النظام الذى أنشأه الإسلام .

ولقد كان ببعض الصحابة هذا الحرص نفسه ، وكانوا يشعرون بحرج كبير من كل ما قد يثير شبهة التفرقة ، أو يمس قاعدة المساواة .

وقد احتكم يهودى وعلى بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين ، فقال عمر لعلى :

« قم يا أبا الحسن ، واجلس أمام خصمك ، ساو خصمك يا أبا الحسن » .

فقام على فجلس أمام خصمه مساويا له ، وقد غشيت وجه على كرم الله وجهه كآبة ، فلما انتهى النزاع ، وقضى عمر ، وانصرف اليهودى ، قال عمر متلطفا : « أكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك ؟! » ولكن عليا - رضى الله عنه - أجاب : « كلا ، ولكنى كرهت أنك لم تُسَوِّ بيننا حين قلت لى : يا أبا الحسن (وأبو الحسن : كنية على ، والنداء بالكنية تعظيم عند العرب) .

بهذه الروح عند الحاكم والمحكوم أكد الفكر الإسلامى الحر قاعدة المساواة أمام القضاء : أن الناس سواء فى الحقوق والواجبات ، لتكون هذه المبادىء من بعد هدف الثورات الكبرى فى التاريخ الإنسانى .

ورسالته إلى أبى موسى الأشعرى تتضمن آراءه الحكيمة .

● وكان عمر أول من وضع التاريخ الإسلامى الهجرى الذى ينبغى أن نحرص عليه فى مكاتباتنا ، وكان لذلك سبب طريف .. دفع إليه صك موعده شعبان ، فقال :

شعبان هذا الذى مضى ، أو الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟!

ثم دعا أصحاب الرسول ﷺ فقال لهم :

ضعوا للناس شيئا يؤرخون به ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام الرسول بالمدينة ، فوجدوه عشر سنين فقال لهم : أكتبوا التاريخ منذ خروج النبى ﷺ من أرض الشرك ، أى : منذ هاجر ، وكان ذلك فى عام ستة عشر فى شهر ربيع الأول[1].

● وكان عمر أول من دون الدواوين ، وفرض للمسلمين على أقدارهم ، وتقدمهم فى الإسلام ، وهو أول من اتخذ بيت المال ، ورتب البريد إلى الأقطار .

وأول من أسس الحسْبة فى الإسلام : وهى مراقبة السوق والنظر فى المكاييل والموازين ...

وكان عمر أول من مصر المدن : مصّر الكوفة والبصرة ، والجزيرة ، وأنزل فيها العرب ، وكان قد رأى تغيُّراً فى ألوان الذين نزلوا العراق ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : إن وَخَامَةَ تلك البلاد هى السبب ، فأمر الرواد أن يرتادوا مكانا موافقا لسكنى العرب ، وقال لهم :

إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها ، فكان ذلك سبب تخطيط الكوفة وما بعدها من البلاد رفقا بالعرب .

---

(١) يبدأ التقويم الهجرى من ١٥ يونية سنة ٦٢٢ م .

أوّليات عمر

قال الراوى : كان لعمر – رضى الله عنه – أوليات لم يُسَبق إليها وتلك سمات العبقرية ..

قالوا : أول من خاطب بـ « أطال الله بقاءك » عمر ، قاله لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه . وأول من قال له : « أيدك الله » .

وهو أول من اتخذ بيت المال .

وأول من كتب التاريخ من الهجرة .

وأول من سنّ قيام رمضان .

وأول من عَسّ بالليل .

وأول من عاقب على الهجاء .

وأول من ضرب فى الخمر ثمانين .

وأول من حَرّم المتعة .

وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد .

وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز .

وأول من عين شخصا مخصوصا لإقتصاص أخبار العمال ، وتحقيق الشكايات التى تصل إلى الخليفة من عماله وهو « **محمد بن مسلمة** » .

وأول من فتح الفتوح ، ومسح السواد (قاس أرض القرى والريف) .

وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة (البحر الأحمر) إلى المدينة .

وأول من احتبس صدقة فى الإسلام .

وأول من أعال فى الفرائض .

وأول من أخذ زكاة الخيل .

وأول من اتخذ الدِّرّة (السوط يضرب به) .

وأول من استقضى القضاة فى الأمصار .

وأول من مَصّر الأمصار « بنى مدنا جديدة » .

وأول من سُمّى أمير المؤمنين .

وأول من اتخذ دار الرقيق ، يعين به المنقطع .

وأول من وسع المسجد النبوى وفرشه بالحصباء .

وأول من ضرب النقود فى الإسلام .

وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل .

وأول من أقام واليا للحِسْبة (مراقبة الأسعار ورعاية الآداب) .

وأول من شق الترع وأقام الجسور .

وأول من وضع المرابِطَة من الجند فى الثغور وسمى الأجناد .

فتوحاته :

فتح عمر — رضى الله عنه — « الفتوحات العظام » فى كل بلد .

ومن فتوحاته : مصر ، والشام ، والعراق ، والجزيرة ، وإرمينية وفارس ، وخوزستان ، وأذربيجان ، والجبال ، وطرابلس ، مما لم يفتح مثله على أحد قبله ولا بعده ، وما طاش له سهم ، ولا التوى له علم . يحرص على حياة المسلمين ، ويولى جيوشه رجالا من أهل الفقه والعلم والدين !

وقد ظل فى خلافته المثل الأعلى للحكم إلى أن مات شهيدا بطعنة من الشقى أبى لؤلؤة المجوسىّ ، غلام المغيرة بن شعبة ، لثلاث ليال بقين من ذى الحجة بعد أن قضى فى الخلافة عشر سنوات وستة أشهر ، وثمانية أيام .

وكانت خلافته رحمة .

دعاء عمر

● لما ولى الخلافة قال :

اللهم إنى شديد ، فليّنى ، وإنى ضعيف فقونى ، وإنى بخيل فسخّنى .

● ولما وقعت المجاعة فى عام الرمادة كان يدعو :

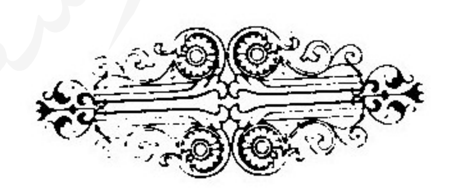
اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدى !

● ولما وجه الجيوش لتنشر الإسلام قال :

اللهم ارزقنى قتلا فى سبيلك ، أوْ وفاة فى بلد نبيّك .

● ولما تقدمت به السن كان يقول :

اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى فاقبضني اليك غير مضيّع ، ولا مفرّط !





فن الإدارة والسياســة

لمن يهمهم الأمر من ساستنا وقادتنا

دعاء عمر

[illegible]

اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني [illegible]

[illegible] في عام الرمادة [illegible]

اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي [illegible]

[illegible]

اللهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولا مفرط

الراعى والرعية

قال الراوى : كلنا راعٍ ومسئول عن رعيته يسوسها ويقودها إلى خير العمل ، وعمل الخير وتتجلى سياسة عمر - رضى الله عنه - فى أول منطق له .. لقد كان أول منطق نطق به ابن الخطاب حين أستُخلف :

« إنما مثل العرب مثل جملٍ أنِف اتّباعَ قائدِه ، فلْينظر قائدُه حيث يقود !

وأما أنا فورَبِّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق » .

ولما فرغ عمر من دفن أبى بكر - رضى الله عنه - نفض يده عن تراب قبره ، ثم قام خطيبا مكانه فقال :

« إن الله ابتلاكم بى ، وابتلانى بكم ، وأبقانى فيكم بعد صاحبى ، فوالله لا يحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى ، ولا يتغَيّب عنى فآلوَ[1] فيه عن الجزاء والأمانة .

ولئن أحسنوا لأُحْسِنَنَّ إليهم ، ولئن أساءوا لأُنَكِّلَنّ بهم .

قالوا : فوالله مازاد على ذلك حتى فارق الدنيا .

وقال : اللهم إنى شديد فَلَيِّنّى ، وإنى ضعيف فقوّنى ، وإنى بخيل فسَخِّنى .

خطبته حين بويع :

ويضع عمر - رضى الله عنه - النقط على الحروف موضحا سياسته ذاكرا ما عَلِمَه من خبر القوم فيقول مصارحا رعيته فى خطبة له حين بويع :

إنى قد علمت أنّ قد كرهتُم قيامى عليكم[2] ، ومن كرهه منكم ممّن ساءه أخْذٌ بحق ، ودفْعٌ عن باطل ، وضربُ عنق من خالف الحق ، ونَحنّى الباطل ، ودعا إليه ، فليس لأُولئك عندى هوادة[3] ولا مصانعة ، فليَمُت أُولئك بغيظهم ، ولا يلومُنّ إلا أنفسَهم ، ولا يُبقين إلا عليها .

والله ما لِمَن خالف إلى الباطل من عقوبة دون ضرب عنقه ؛ فإن السيفَ نعم

(١) ألا يألو ألْوًا ، وأُلُوًّا ، وأُلِيًّا : اجتهد ، وقَتر ، وضعُف . وقصّر وأبطأ . ومنه إنى لا آلوك نصحاً .

(٢) ولايتى .

(٣) ملاينة .

الوزيرُ هو للحقّ وأهله ، وقد أمر رسول الله ﷺ بالقتال على الحق ، وقاتل عليه ؛ فخذوا منى ما أعطيكم ، وأعطونى ما أسألكم .

إنى آخذكم بالحق غير معتدٍ به ، وأعطيكم الحقّ غير قاصرٍ عنه ، كتابُ الله ، وسُنّةُ نبيّه ﷺ بينى وبينكم .

لا يسألنّ أحدٌ غيرَ ذلك ، ولا يطمعنّ فيه عندى !

حسمه وحزمه فى مواجهة الفتنة :

وكان عمر - رضى الله عنه - حازما حاسما فى مواجهة نوازع النفس الإنسانية فيما يراه حقا ..

فقد بلغه اعتراض عمرو بن العاص على سعد ، فكتب إليه : « لئن لم تستقم لأميرك لأوجّهنّ إليك رجلا يضع سيفه فى رأسك ، فيخرجُه من بين رجليك » . فقال عمرو : هددنى بعلىّ - والله .

متابعة القادة :

وكان عمر - رضى الله عنه - يتابع القادة ، ويقف على أخبارهم ، ويحاسبهم .

كتب - رضى الله عنه - إلى خالد بن الوليد :

إنه بلغنى أنك دخلت حماماً بالشام ، وأن من بها من الأعاجم أعدوا لك دَلُوكاً عُجن بخمر ، وإنى أظنكم - آل المغيرة - ذرء النار[1].

من ذلك الوالى الذى يطبق أمر الله فى عباده ؟! :

ويحدثنا عمر - رضى الله عنه - عن ذلك الذى يطبق أمر الله فى عباده فيقول :

لا يطبّق أمرَ الله فى عباده إلا رجلٌ لا يصانع[2]، ولا يضارع[3]، ولا يتّبع

---

(١) ذرء : خلق . وذرء النار : مخلوقين لها .

(٢) لا يصانع : لا يدارى . أصله أن يقول : اصنع لى شيئا أصنَعُ لك شيئا آخر . ويقول زهير :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسِم

والمصانعة المداراة . ويقول الشاعر :

فدارهم ما دمت فى دارهم ... وأرضهم ما دمت فى أرضهم

وهى ما يسمى حديثا النفاق الإجتماعى .

(٣) يضارع : يشبه فعله الرياء .

المطامع .

ولا يطبق أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كله ، ولا يحَنق فى الحق على جِرّته[1].

ماذا كان يكره من اللباس ؟ :

وكان عمر – رضى الله عنه – يكره لِبْسَتين : إنه يقول : أكره لبسَتين :

١ – لِبْسَةً مشهورة ٢ – ولِبْسَةً محقورة .

الولاية فى قريش :

وكان لعمر رأيه فى الولاية .. إنه يقول :

تضيق أنصارُنا ، وتقسو ثقيفُنا ، ومن وَلِىَ من العرب قَرَا فى حوضه[2]، وملأ وعاءه !

ولم أرَ لهذا الأمر مثل رجل من قريش أكلَ على ناجذه[3].

عمر ومعاوية :

وكان لعمر – رضى الله عنه – رأى فى معاوية فكان إذا رآه قال :

هذا كسرى العرب .

قال الراوى : لقد كانت المدينة فى أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القُضاةُ والعمالُ والقواد والأمراء ، فلا يبعث إلى الأمصارِ إلا من اختبره فى الجملة ، وقلّما أخطأت فِراسته فى الناس ، وهو المثل الأمثل فى جِدّه .

● كان كعب بن سور جالسا عند عمر فجاءته امرأة تشتكى زوجها ، فقال لكعب : إقض بينهما ، فلما قضى بما أعجبه ، وما لم يخطر له ببال ، قال لكعب : اذهب قاضياً على البصرة .

● وساوم عمر بفرس فركبه ليشوره[4] فعطِب ، فقال للرجل : خذ فرسَك ،

---

(١) حنق يحَنق حنقا : اشتد غيظه . والجِرّة : الجماعة من الناس يقيمون ويظعنون وما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ، ثم يبلعه . ويقال : هو لا يكظم على جِرّته : لا يكتمُ سره .

(٢) قرا فى حوضه : جمع الماء فيه . والمراد استحوذ على الخير لأهله وقبيلته ، والجملة بعدها مفسرة لها .

(٣) الناجذ : الضرس ، وأكل على ناجذه : كناية عن رعايته لقومه وحدبه عليهم .

(٤) ليختبره ، ويجر به لينظر مدى صلاحيته .

فقال الرجل : لا .

قال : اجعل بينى وبينك حكَماً .

قال الرجل : شُريح .

فتحاكما إليه ، فقال شُريح : يا أميَر المؤمنين ، خذ ما ابتَعتَ ، أو رُدّ كما أخذتَ ، فقال عمر : وهل القضاءُ إلا هكذا ؟ سر إلى الكوفة ، فبعثه قاضيا عليها !!

قالوا : وإنه لأول يوم عرفه فيه ، وبقى شريح قاضيا هناك ستين سنة .

● وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : إنه لم يَزَل للناس وجوهٌ يرفعون حوائجَ الناس ، فأكْرِم وجوهَ الناس ، فبِحسْبِ المسلم الضعيفِ من العدلِ أن يُنْصَف فى الحكم ولاقسمة .

يعنى أن عمَر أوصى بالأعيان ، وإن كان يكره الشفاعة والوساطة ، فقد توسط مولى عمر بأن يكتب كتابا إلى عامله فى العراق ليكرم أحد من قصدوا إليه ، فانتهَره عمر وسبّه وقال : أتريد أن يُظلمَ الناسُ ؟! ، وهل هو إلا رجل يسعه ما يسعهم[1]؟!

● ولقد قالوا : « إذا[2] اختلف الناس فى أمر فانظر كيف قضى عمر ؛ فإنه لم يكن يَقْضى فى أمر لم يُقضَ فيه قبله حتى يُشاوِر .

● وكان أبداً يأخذ آراء أصحابه لا يقطع أمراً عظيما من دون إستشارتهم ، ويقول :

الرأى الفرد كالخيط السحيل ، ولارأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مِرارٌ لا يكاد ينتقض[3].

هذا ولو وضع علم عمر فى كِفّة – كما قال ابن مسعود – ووضع علم أحياء العرب فى كِفّة لرجح بهم علم عمر .

● وأُنشِد عمر ذات يوم شعر زهير بن أبى سُلمى ، فلمّا بلغ قوله :

---

(١) الأشراف لابن أبى الدنيا .

(٢) طبقات ابن سعد .

(٣) السحيل حبل على قوة واحدة ، وأقوى منه المبرم الذى جعل بين حبلين مفتولين ثم فتل الثلاثة حبلا واحداً ، والمِرار بكسر الميم : الحبل .

فــإن الحقّ مقطعــة ثــلاث يَمين ، أو نِفَار[1]، أو جِـلاء

جعل يتعجب من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ويقول :

لا يخرج الحق من إحدى ثلاث :

إما يمين ، أو محاكمة ، أو حجة .

مجمل من إدارة عمر :

وقد كان شديدا فى إقامة الحدود يُقيمها على أقرب الناس إليه .

● حدّ فى الخمر ابنه !

● وعاقب ابن عمرو بن العاص عامل مصر ، لأن أحد قبطها استعْداه عليه .

قال السائب بن يزيد :

كنا نُؤْتَى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ وإمارة أبى بكر ، وصدر من خلافة عمر ، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا ، وأرجلنا ، وأرديتنا ، حتى كان آخر إمرة عمر ، فجلد أربعين ، حتى إذا عَتَوا وفَسقوا جُلدوا ثمانين .

● أراد أن يحد جبلة بن الأيهم من ملوك غسّان لأن رجلا فزاريا[2] فى الحج وطىء على إزاره فلطمه جبلة فهشم أنفه ، وشكاه الفزارى فأراد عمر جبلة على أن يقتدى نفسه ، أو يأمر الرجل بلطمه ، فقال جبلة :

كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة ؟

فقال : إن الإسلام جمعكما ، وسوى بين الملك والسوقة فى الحد ففر جبلة والتحق ببلاد الروم !

وكان ابن الخطاب يفحص أمورا لا تخطر ببال أحد :

● كتب إلى أبى موسى الأشعرى : « إنى قد بعثت إليك مع غاضرة بن سمرة العنبرى بصحف ، فإذا أتاك لكذا ، وكذا فأعطه مائتى درهم ، وإن جاءك بعد ذلك فلا تعطه شيئا ، وأكتب إلىّ فى أىّ يوم قدم عليك » .

---

(1) النفار : التخاصم والحكم بين الخصوم بعد تبين الحجج . والجِلاء : الوضوح والانكشاف بحيث يظهر الحق واضحا جليا فيقضى به لصاحبه دون يمين أو خصام .

(2) تاريخ أبى الفدا .

يريد بذلك أن يعلّم من يستعملهم الجد والإهتمام ، والحرص على الأوقات وضبط المواعيد ، هو يعطى من أرسله بالصحف مائتى درهم إذا جد فوصل إلى البلد الذى عين له فى الأجل المضروب ، وإلا فيحرم أجرته .

● وكتب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات :

إنه بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب ، فطلقها ، فكتب إليه :

لا أفعل حتى تخبرنى : أحلال أم حرام ؟ ، وما أردت بذلك ؟!

فكتب إليه : بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلَابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم .

فقال : الآن نطلقها !

هذا مع أن عمر كان يقول : ليس قوم أكيس من أولاد السرارى ، لأنهم يجمعون عز العرب ، ودهاء العجم .

● وكتب إلى أبى موسى الأشعرى أيضا[1]: إذا أتاك كتابى هذا فاضرب كاتبك سوطا ، واعزله عن عمله .

وذلك أن كاتب أبى موسى كتب إلى عمر : « من أبو موسى » وكان عليه أن يقول : من أبى موسى .

● ودبر عام الرمادة (١٧ - ١٨) تدبيرا إداريا ناجعا عندما رأى الناس يهلكون من المجاعة ، فكتب إلى أمراء مصر والشام والعراق أن يوافوه بالميرة[2]، فأتته القوافل تحمل طعاما كثيرا وغيره ، فوسع على الناس ، وكان قد قطع الطعام عن نفسه ، وأطعم الجياع ، ولولا تدابيره هلك أهل الحجاز جميعهم .

● ومن جملة تدابيره الإدارية أنه[3] « حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج من البلدان إلا بإذن وأجل ، فشكوه ، فبلغه ، فقام فقال : ألا إنى قد سننت الإسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا ، ثم سنِيّا ، ثم رباعياً ، ثم سَديساً ، ثم بازلاً ،

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى .

(٢) الميرة : الطعام . وفى الكتاب العزيز : « نمير أهلنا » سورة يوسف .

(٣) تاريخ الطبرى .

ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ؟!

ألا فإن الإسلام قد بزل .

ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حيّ فلا ، إني قائم دون شِعْب الحَرّةَ آخذ بحلا قيم قريش ، وحُجَزِها أن يتهافتوا في النار » .

عمر في محراب العدالة ! :

قال الراوي : إن المساواة بين المتخاصمين في حد ذاتها حق وعدل ، وإن الحق فوق الجميع ، وإن العدل أعلى وأكبر من كل عظيم وكبير ، فما أنبل عمر في صرامته ، وما أعظم نزاهته وعظمته في حرصه على تحصين محراب العدالة المقدس !

ها هو ذا عمر – رضى الله عنه – يقول في أول خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ﷺ : « أيها الناسُ ، إنه – والله – ما فيكُم أحدٌ أقوى عِندِي من الضعيف حتى آخذ الحقَّ له ، ولا أضعفُ عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » ثم نزل .

وكتب إلى أبي موسى الأشعرى – وهى رسالته المشهورة في القضاء – :

سلامٌ عليك ، أما بعد ؛ فإن القضاء فريضة مُحْكمة ، وسُنّةٌ متّبعة ، فافهم إذا أُدْلِيَ إليك[1]؛ فإنه لا ينفع تكلُم بحقٍّ لا نفاذَ له .

● آسِ بين الناسِ في وجهك وعدلِك ومجلسك ، حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيْفك[2]، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك .

● البينةُ على من ادعى ، واليمين على من أنكر .

والصّلحُ جائز بين المسلمين إلا صُلْحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً .

● لا يَمْنَعَنْك قضاءٌ قضيتَه اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهُديتَ لرشدِك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحقَّ قديم ، ومراجعة الحق خيرٌ من التمادى في الباطل .

● الفهمَ الفهمَ فيما تلجلجَ في صدرِك[3] مما ليس في كتابٍ ولا سنةٍ ، ثم

---

(١) يقال أدلى إليه بحجته : أحضرها ، واحتج بها ، أو أثبتها فوصل لبها إلى دعواه .

(٢) ظلمك .

(٣) اختلط والتبس .

اعرف الأشباهَ والأمثالَ ؛ فَقِسِ الأمورَ عند ذلكَ بنظائرِها واعمِد إلى أقربِها إلى الله ، وأشبِهِها بالحقِّ ، واجعل لمن ادّعى حقا غائباً أو بينةً أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضرَ بينته ، وإلا استحلَلْت عليه القضية ، فإنه أنفيَ للشكِّ ، وأجْلى للعمى .

● المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا فى حَدّ ، أو مُجرَّبًا عليه شهادة زور ، أو ظِنّينًا فى ولاءٍ أو نسب ، فإن اللهَ تولّى منكمُ السّرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان .

● وإياك والقَلَق والضّجَر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ؛ فإن الحقّ فى مواطن الحق يعظم الله به الأجرِ ، ويُحسن به الزّخر . فمن صحّت نيتُه ، وأقبل على نفسِه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلّق للناس بما يعلم أنه ليس من نفسه شانَه الله ، فما بالك بثوابِ الله فى عاجل رزق وخزائن رحمته ؟! والسلام .

قال الراوى :

● وكان عمر يأمر الناس بالتفقه فى الدين ، ويَجِدّ فى إرسال الفقهاء إلى الأمصار يفقهون المؤمنين ، ويعلمونهم دينهم ، وقد لا يرسلهم إلا بعد أخذ رأيهم .

● ولما أراد أن يرسل سعد بن عبيد ، وكان لا يسمى القارىء من الصحابة غيره قال له : هل لك فى الشام ؛ فإن المسلمين نزفوا[1]، وإن العدو قد ذأروا عليهم .

وذلك بعد طاعون عمواس .

● وكان يقول حين خرج معاذ بن جبل إلى الشام : لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها بالفقه ، ولقد كنت كلمت أبا بكر - رحمه الله - أن يُجلسه لحاجة الناس إليه ، فأبى عَلَىّ وقال : رجل أراد جهاداً يريد الشهادة ؛ فلا أجلسه !

● وفى كتب عمر إلى قُضاته وعماله ، كأبى موسى الأشعرى ، والقاضى شريح ، وأبى عبيدة ، ومعاوية وغيرهم قوانين فى الاشتراع والإدارة سنها للمسلمين لا تزال إلى يوم الناس هى المعول عليها .

● ولقد قرأنا رسالته فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى ، فوجدنا أنه جمع فيها « جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام وجعل النّاسُ بعده يتخذونها إمامًا ، ولا

(١) نزفوا : ماتوا ، وفنوا ، وذأر عليهم : اجترأ ، ومن التعبيرات الحديثة : معركة الإستنزاف .

يجد محق عنها مَعْدِلا ، ولا ظالم عن حدودها محيصا »[1].

● إن هذه الرسالة تظهر سماحة الشريعة الإسلاميّة ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

كما تظهر حب الخليفة العظيم لحرية الرأى ، واستقلال الفكر ، وصيانة القضاء ، وتشجيع القضاة على الإجتهاد .

● إن بعض ما سنهٔ عمر من الأحكام ، أو أشار إليه ، أو تركه لإجتهاد القاضى سبق به أرقى النواميس القضائية المعروفة فى العالم كله فى عصرنا الحاضر ، وإن شئت فقل : بل وفى العصور المقبلة أيضا .

ألم يقل لأبى موسى : « افهم إذا أُدْلِى إليك » .

وفى التشريعات الحديثة :

« للأخصام الحرية فى المدافعة عن حقوقهم » .

أى أن القاضى ملزم بسماع كل ما يقوله طرفا الخصومة – المادة ٢٢ من لائحة ترتيب المحاكم الوطنية – فقرة ثانية .

ألم يقل : « إنه لا ينفع تكلم بحق لإنفاذَ له ».

وتأتى التشريعات الحديثة لتقول :

« تنفذ الأحكام النهائية جَبرا على المحكوم عليه فى الأحكام المدنية ؛ بالحجز بالقوة ، أو بالقبض والسجن فى الأحكام الجنائية » .

ألم يقل : « آسِ بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » ؟! وفى التشريعات الحديثة نجد ما يقابل ذلك :

« المواطنون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ، وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك » من مواد الدستور المصرى .

ألم يقل : « البينة على من أدى ، واليمين على من أنكر » ؟ .

---

(١) الكامل للمبرد .

ونجد فى التشريعات الحديثة ما يقابل ذلك :

على الدائن إثبات دينه ، وعلى المدين إثبات براءته من الدين ، والإثبات يكون بالبينة ، والقرائن ، والكتابة على حسب كل حالة .

ألم يقل : « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراما أو حرّم حلالا » ؟

وجاء فى التشريعات الحديثة : « لا يجوز عمل الصلح فى الحقوق المالية »[1].

عود على بدء ! :

قال الراوى : يا سادة يا كرام ... عشتم مع عمر - رضى الله عنه - فى أول خطبة له حين ولى الخلافة ، وما كان عمر ممن أولع بإلقاء الخطب كثيرا ، على بلاغة فيه مستحكمة وعلم غزير ، ولا يرتقى المنبر إلا إذا قضت الضرورة ، وأراد بيان أمر ذهبت فيه نزوات النفوس مذهبا لا يرضاه .

وكثيرا ما قال :

إن هذا الأمر لا يصلح فيه إلا اللَّيِّن فى غير ضعف ، والقوىّ فى غير عُنف .

وكذلك كان عمر يجمع بين اللين والشدة ، وهو إلى هذه - ولاسيَّما على عماله - أقرب .

طريقة عمر فى الإدارة :

وكانت طريقته فى الإدارة هى طريقة أبى بكر وصاحبه من قبل : إطلاق الحريات فى الشئون الموضعية ، وتقييده فى المسائل العامة ، ومراقبته فى خلوته وجلوته :

يقول المغيرة بن شعبة :

أفضل من أن يَخْدَع ، وأعقل من أن يُخدَع !

وجاء فى التاج المنسوب إلى الجاحظ :

● وكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته ، كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد ، وعلى وساد واحد ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا ناحيَة من النواحى عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده ، فكانت ألفاظ من بالمشرق

(١) أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والإسلام .

والمغرب عنده فى كل مُمْسَى ومُصْبح ، ونحن نرى ذلك فى كتابه إلى عماله وعمالهم ، حتى كان العامل منهم لَيَتّهم أقرب الخلق إليه وأخصّهم به .

مهمة العمال :

وكان عمر – رضى الله عنه – إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم[1] فيقول :

إنى لم استعملكم على أمة محمد على أشعارهم ، ولا على أبشارهم[2]، وإنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقْضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل .

لا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها[3] فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها .

جودوا القرآن ، وأقلّوا الرواية عن محمد ﷺ وأنا شريككم .

وكان يقص من عماله ، وإذا شكى إليه عامل جمع بينه وبين من شكاه ، فإن صح عليه أمر يجب أخذه به أخذه .

● وكان إذا بعث أمراء الجيوش يوصيهم بتقوى الله ، وألا يعتدوا ولا يجبنوا عند اللقاء ، ولا يمثلوا عن القدرة ، ولا يسرفوا عند الظهور ، ولا يقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وأن يتوقوا قتلهم إذا إلتقى الزحفان ، وشنت الغارات ، وألا يغلوا عند الغنائم ، وينزهوا الجهاد عن عرَض الدنيا .

وهكذا يتضح لنا موقف عمر من عماله .. لقد كانوا عُرضةً لكشف أحوالهم مهما بلغ من منزلتهم !

● وكان إذا شكا إليه عامل أرسل محمد بن مسلمة يكشف الحال ، وله عدة طرق فى كشف سيرة عماله[4]:

منها أن يأمر عماله أن يوافوه بالموسم فإذا إجتمعوا قال :

أيها الناس ، إنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ، ولا من أموالكم .

---

(١) تاريخ الطبرى .

(٢) الأشعار جمع شعر ، والأبشار جمع بشرة ، وهى ظاهر جلد الإنسان .

(٣) لا تؤخروها فى دار الحرب .

(٤) أسد الغابة لابن الأثير .

إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فُعِل به غير ذلك فليقم ، فما قام إلا رجل واحد ، فقال : إن عاملك فلانا ضربني مائة سوط !

قال : فيم ضربته ؟

قم ، فاقتص منه !

فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ، ويكون سنة يأخذ بها من بعدك !

فقال : كيف لا أقيد . وقد رأيت رسول الله ﷺ يُقيد من نفسه[1]؟!

قال : قد عفا ، فلنرضه .

قال : دونكم فأرضوه ، فافتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين .

وقال : من ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن له عليّ إلا أن يرفعها إليّ حتى أقصّه منه .

فقيل له : أرأيت إن أدّب أمير رجلا من رعيته ، أتقصه منه ؟!

فقال : وما لى لا أقصّه منه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟!

نهج عمر لمن يخلفه :

ونهجَ عمرُ لمن يخلفه النهج الذى يجب السير عليه فى تدبير الملك .

● فأوصى الخليفة بعده أن يقر عماله سنة فيما قبل .

● وأوصاه بتقوى[2] الله لا شريك له ، وبالمهاجرين الأولين خيرا ، وأن يعرف لهم سابقتهم ، وأوصاه بالأنصار خيرا يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم .

● وأوصاه بأهل الأمصار خيرا فإنهم رِدْء العدو ، وحياة الفيء ، وأن لا يحمل فيئهم إلا عن فضل منهم .

● وأوصاه بأهل البادية خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، وأن يأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فيرده على فقرائهم .

---

(١) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ .

● وأوصاه بأهل الذمة خيرا ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا ، أو عن يد وهم صاغرون .

● وأوصاه بالعدل فى الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، وأن لا يؤثر غنيهم على فقيرهم ، وأن يشتد فى أمر الله وحدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم . ثم لا تأخذه فى أحد رأفة حتى ينتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله ، ويجعل الناس عنده سواء لا يبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذه فى الله لومة لائم ،

● وأوصاه أن لا يرخص لنفسه ، ولا لغيره فى ظلم أهل الذمة ، ونشده الله أن يرحم جماعة المسلمين ، ويجل كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر عالمهم ، وأن لا يضر بهم فيذلوا ، ولا يستأثر عليهم بالفىء فيغضبهم ، ولا يحرمهم عطاياهم عند محلها فيفقرهم ، ولا يجمرهم فى البعوث فيقطع نسلهم ، ولا يجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا يغلق بابه دونهم فيأكل قويُّهم ضعيفَهم !

رضى الله عن عمر علم الولاة فن الإدارة .. وعلّم الساسة كيف يسوسون الشعوب إلى شاطىء الأمن والأمان والحرية والسلام !



فن معاملة الناس

قال الراوى .. وكان عمر رضى الله شديداً فى غير عُنف !

وكثيرا ما كان عمر يدعو ربه قائلا : اللهم إنى شديد فليِّنى !

وسأله عبد الرحمن أن يَلين للناس فقال : إن الناس لا يصلح لهم إلا هذا ، ولو علموا ما هم عندى لأخذوا ثوبى من عاتقى .

موعدكم الساعة :

وضرب المثل بعمر – رضى الله عنه – فى العدل ، فقد كان يراقب الله فى رعيته ، ويخشى عذابه يوم القيامة !

قيل له : كان الرجل يُظلَم فى الجاهلية ، فيدعو على ظالمه ، فيجاب عاجلا ، ولا نرى ذلك فى الإسلام ؟!

فقال . كان هذا حاجزاً بينهم[1] وبين الظلم ، وإن موعدهم الآن الساعة ، والساعة أدهى وأمَرّ .

من ذلك الذى يقيم أمر الله فى الناس ؟ :

وكان عمر – رضى الله عنه – النموذجَ الكاملَ للحاكم المسلم الذى يُقيم أمرَ الله فى الناس ، ومن أجلِ هذا كَتب إلى أبى عبيدة :

أما بعد ؛ فإنه لم يُقِمْ أمرَ الله فى الناس إلا حصيفُ العُقْدة ، بعيد الغِرّة ، لا يُحْنَق فى الحق على جِرَّةٍ ، ولا يطَّلِعُ منه الناسُ على عورة[2]! ، و لا تأخذه فى الله لومة لائم ! .. وهكذا كان عمر !!

والسابقون السابقون أولئك المقربون :

وكان عمر – رضى الله عنه – يزن الأمور بمقياس السبق والمسارعة إلى الهجرة

---

(١) فى البيان والتبيين ٣ : ٢٧٩ : كانوا ولا زاجر لهم إلا ذلك ، فلما نزل الله – عز وجل – الوعد والوعيد والحدود والقَوَد والقصاص وكَلهم إلى ذلك .

(٢) حصيف العقدة : مُحْكِم للأمور . بعيد الغِرّة : الغفلة ، لا يُحنق على جرّة : لا يكظم الحقد وينطوى على الدغل . والجِرّة : ما يخرجه من جوفه ويجتره . ويَحنق البعير : تلتصق بطن .

والجهاد فى الله فهو يقول :

من أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومَنّ رجل إلا مناخ راحلته .

الضرب .. ومنع الحق .. والإبعاد :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصا على أن يعيش المسلمون أعزاء ، وأن يُنْصِفهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. خطب – رضى الله عنه – فقال :

ألا لا تضربوا المسلمين فَتُذِلُّوهم !

ولا تَمْنَعُوهم حُقُوقَهم فتُكَفِّروهم[1]!

ولا تُجَمِّروهم فتفتِنُوهم[2]!

ورع وفقه :

وكان عمر – رضى الله عنه – ورعاً يتحرّى الحلال ، ويخاف الحرام .

مرّ – رضى الله عنه – بشابّ فاستسقاه فخاض له عسلاً ، فلم يشربه ، وقال :

إنى سمعت الله تعالى يقول :

﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾

فقال الفتى : إنها – والله – ليست لك .

اقرأ ما قبلها : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] أفنحن منهم ؟ فشربها وقال :

« **كل الناس أفقه من عمر** »

الرجوع إلى الحق فضيلة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يقف فى وجه المغالاة حرصا منه على مواجهة الأزمات ، والتغلب على الشدائد ، من أجل هذا أراد أن يحدد المهور حتى لا ينوء بها

---

(١) فتكفروهم : تدفعوهم إلى الكفر والإرتداد .

(٢) ولا تجمروهم : لا تتركوهم طويلا فى ثغور العدو بتعرضوهم للفتنة . وفى هذه الوصية الغالية نداء إلى أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ويذلونهم ويفتنونهم دون ذنب جنوه !

غير القادرين ..

قال – رضى الله عنه – : لا يَبْلُغَنّى أن امرأة تجاوزت بصداقها صداقَ النبى – عليه السلام – إلا ارتجعتُ منها . فقامت امرأة فقالت :

ما جعل اللهُ ذلك لك يا بن الخطاب ! إن الله – تعالى – يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ [النساء : ٢٠].

فقال عمر – رضى الله عنه – : لا تعجبوا من إمام أخطأ ، وامرأةٍ أصابت ، ناضلت إمامكم فنضلته[١].

عمر والفتوى :

وكان عمر – رضى الله عنه – عالما بالفقه ، تصدر فتاواه بناء على ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله .. روى أن أعرابيا أتاه فقال :

إنى أصبتُ ظبيًا وأنا مُحْرِم ، فالتفت عمر – رضى الله عنه – إلى عبد الرحمن ابن عوف وقال : قل .

قال عبد الرحمن : يُهدى شاةً .

قال عمر – رضى الله عنه – أهدِ شاةً .

فقال الأعرابى : والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره ، وما أظننى إلا سأنحر ناقتى !

فخفقه عمر بالدِّرة وقال :

أتقتل فى الحرم ، وتَغْمَصُ[٢] فى الفُتْيا ؟!

إن الله – عز وجَلّ – يقول : ﴿ **يحكم به ذوا عدلٍ منكم** ﴾ [المائدة : ٩٥] فأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف[٣].

إنصاف من لا يحبه :

وكان – رضى الله عنه – منصفًا حتى مع من لا يحبه .. إنه يلتقى بأبى مريم الحنفى قاتل أخيه زيد بن الخطاب فى وقعة اليمامة ؛ فيقول له :

(١) نضلته : غلبته .

(٢) الغمص . العيب .

(٣) وآية المائدة هذه عن الصيد فى الحرم .

والله لا أحبك حتى تحبّ الأرض الدّم !

قال : فتمنعني حقّاً ؟

قال : لا .

قال : فلا باسَ ، إنما يأسف على الحُبّ النساء !

إذا عرف السبب بطل العجب :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف للناس أقدارهم وأفضالهم لا يخشى فى الله لومة لائم !

قال له عبد الله ابنه – رضى الله عنهما – : لم فضَّلت أسامة علّى ، وأنا وهوَ سِيّان ؟!

فقال : كان أبوه أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك !

وكان هو أحب إلى رسول الله ﷺ منك .

أخوف ما كان عمر – رضى الله عنه يخافه على المسلمين :

إن إتهام الأبرياء ، وظلم المخلصين أخوف ما كان عمر يخافه على أمته ، ولكن ما أكثر الأبرياء الذين يُزَجّ بهم فى السجون بينما ينعم المجرمون بالحرية !!

لقد خطب رضى الله عنه فقال :

إن أخوفَ ما أخافُ عليكم أن يُؤْخَذَ الرجلُ المسلِمُ البرىء عند الله ، فيُدْسَر كما يُدْسَرُ الجَزُور[1]، ويُشَاط لحمُه كما يشاطُ لحمُ الجزور[2]، ويقال : عاصٍ وليس بعاصٍ . فقال علىٌّ – رضى الله عنه – : كيف ذاك ، ولَمّا تشتدّ البَلِيّة ، وتَظْهر الحَمِيّةُ ، وتُسْبَ الذُّرِّية ، وتَدقّهم الفِتَن دقّ الرَّحا ثِفَالَها ؟![3].

---

(١) يُدسر : يكب ويُدْفع للقتل ، كما يفعل بالجزور عند النحر . اللسان .

(٢) يشاط : يقطع . والجَزُر : الناقة أو الشاة المعدّة للذبح .

(٣) الثفال : جلدة تحت الرحا . تندق أنسجتها تحت تأثير دوران الرحا فوقها فكأنما تندق بفعلها ، وفى العبارة تشبيه تأثير الفتنة بما تفعله الرحا فى الثفال .

العفو عند المقدرة أملا فى الخير والصلاح :

وكان عمر – رضى الله عنه – يتفقد أحوال رعيته ليلا ونهارا حتى لا يكون آخر من يعلم !

قال ثور بن يزيد : كان عمر – رضى الله عنه – يَعسُّ بالمدينة فى الليل فسمع صوت رجل فى بيت ، فارتاب فى الحال ، فتسَوّر ، فوجد رجلا عنده امرأة وخمر ، فقال : **يا عَدُوَّ الله ، أكنت ترى أن اللهَ يسترك وأنت على معصية ؟!** فقال الرجل : لا تعجل علىّ يا أميرَ المؤمنين ، إن كنتُ قد عصَيْتُ الله فى واحدةٍ ، فقد عصيتَه فى ثلاث :

١ – قال الله تعالى : ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقد تجسَّسْتَ !

٢ – وقال : ﴿ **وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

وقد تَسَوّرت !

٣ – وقال : ﴿ **فإذا دخلتم بيوتًا فسَلِّموا** ﴾ [النور : ٦١] .

وما سلمت !

فقال له عمر : – رضى الله عنه – فهل عندك من خير إن عفوتُ عنك ؟!

قال : بلى يا أميرَ المؤمنين ، والله لئن عفوتَ عنى لا أعود لمثلها أبداً . فعفا عنه !

إياكم والهدايا :

وكان عمر – رضى الله عنه ، لمَّاحًا بعيد النظر ، يعرف الأمراض الإجتماعية ومدى خطرها على المجتمع الإسلامى فى مهده فراح يحذر المسلمين من الهدايا وإفسادها للذمم !!

قيل : أهدى رجل إلى عمر – رضى الله عنه – جَزُوراً ثم خاصم إليه بعد ذلك فى خصومة ، فجعل يقول : افصلها يا أميرَ المؤمنين كفَصْلِ رِجْلِ الجَزُور[1]! فاغتاظ عمر – رضى الله عنه – وقال :

---

(١) الجزُور : الشاة المجزورة المذبوحة . وفى عيون الأخبار ١ : ٥٢ أهدت إليه امرأة ، وفى شرح نهج البلاغة لأبى الحديد ٣ : ١١٩ أهدى إليه رجلٌ فخذ جزور .

يا معشرَ المسلمين ، إياكم والهدايا ، فإن هذا أهدى إلىّ منذ أيام رِجْلَ جَزُور ، فوالله مازال يردّدها حتى خفت أن أحكم بخلاف الحكم .

حرصه على صيانة أمور الأمة وأسرار المسلمين من أعداء الدين :

وكان عمر حريصا على صيانة أمور الأمة ، وأسرار المسلمين من أعداء الدين .

استكتب[١] أبو موسى نصْرانيا ، فكتب إليه عمر :

إعزله وإستعمل حَنيفيًّا[٢].

فكتب إليه أبو موسى :

إن مِن غَنَائِه وخَبَره كيت وكيت[٣].

فكتب إليه عمر - رضى الله عنه - :

ليس لنا أن نأتمنهم وقد خَوَّنهم الله ، ولا أن نرفعهم وقد وضعهم الله ، ولا أن نستنصحهم فى الأمر[٤]، وهم يرون الإسلام قد وترهم[٥]، ويعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون فكتب إليه أبو موسى :

إن البلد لا يصلح إلا به .

فكتب إليه عمر - رضى الله عنه - مات النّصْرانِىّ والسلام[٦].

من هو خير من الخليفة :

وكان عمر - رضى الله عنه - يُنزل الناس منازلَهم .. كان أبو رافع صائغا ، فنظر إليه عمر ، وهو يقرأ ويصوغ ، فقال :

يا أبا رافع ، أنت خير منى ؛ تؤدى حقَّ الله ، وحقَّ مواليك[٧]!

---

(١) استكتبه : اتخذه كاتبا لديوانه .
(٢) استعمل : وَلِّ . حنيفيا : مائلا عن الشرك إلى الإسلام .
(٣) غَنائه : سداده فى الأمور . كيت وكيت : كناية عن تعدد مهاراته .
(٤) نستنصحهم : نطلب منهم النصيحة والرأى ونستشيرهم .
(٥) وترهم : أصابهم وفجعهم .
(٦) نهج البلاغة شرح ابن أبى الحديد ٣ : ٩٣ .
(٧) أبو رافع : اسمه نُفَيع . مدنىّ نزل البصرة . وهو من رواة الحديث . ومواليك : من تلى عليهم وتتولى رعايتهم وتموينهم .

لكل رزق سبب :

وكان عمر – رضى الله عنه – يحب أن تكون الإجابة وافية هادفة ، ويأبى إلا أن يعلم الناس كيف يجيبون .

قال لرجل : ما معيشتُك ؟ قال : رزق الله !

قال : لكل رزق سبب ، فما سبب رزقك ؟

تثبيت الود :

وكان عمر – رضى الله عنه – خبيرا بفن معاملة الناس وتقوية الروابط الأخوية بينهم ...

قال – رضى الله عنه – :

ثلاث يُثَبِّتن لك الوُدَّ فى صدرِ أخيك :

١ – أن تبدأه بالسلام .

٢ – وتُوَسِّعَ له فى المجلس .

٣ – وتدعوَه بأحب الأسماء إليه .

فن الحديث :

وكان عمر – رضى الله عنه – يُلِمّ بفنون الكلام ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ، وكيف تُقْضى الحاجات . **قال – رضى الله عنه** – من أفضل ما أُعطِيَتْه العرب : الأبيات يقدمُها الرجل أمام حاجته ، يستعطف بها الكريم ، ويستنزِلُ بها اللئيم[1].

أحبّ الناس إليه :

وربما كان للأسماء وحسن المنظر أثرهما فى نفسه ، ولكن حسن المخبر هو الأساس بعد الاختبار . إنه – رضى الله عنه – يقول :

أحبُّكم إلَيَّ أحسنُكم اسمًا ، فإذا رأيناكم فأجملُكم منظراً ، فإذا إختبرناكم فأحسنُكم مَخبراً .

---

(١) يستنزل بها اللئيم : يطلب منه النزول عليه ليكون فى ضيافته .

مِيَسم الكرام :

والدين عند عمر – رضى الله عنه – خير ما يوسم به الكرام فهو يقول : **الدين مِيَسمُ الكرام**[1].

عمر وعدىّ بن حاتم :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف للناس أقدارهم حتى وإن شغل عنهم .

دخل عدىُّ بن حاتم ، فسلم وهو مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا عدىُّ ابن حاتم ، فقال : ما أعرفنى بك ! أنت الذى أقبلت إذْ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا ، وأقررت إذْ نفروا ، وأسلمت إذ كفروا . فقال عدى : حسبى يا أمير المؤمنين !

أىُّ الناس أنعم بدنا ؟ :

وكثيرا ما كان عمر يسأل أصحابه ، ثم يُطْلعهم على الإجابة المُثْلى من وجهة نظره ..

سأل أصحابه : أى الناس أنعمُ بدَنًا ؟

فكلٌ أجاب برأيه .

فقال عمر – رضى الله عنه – لكنى أقول :

جسد فى التراب ، قد أمن العقاب ، ينتظر الثواب !

كلمات كلها حكم :

والحكمة ضالة المؤمن ، وكان عمر – رضى الله عنه – حكيما .. قال ابن المسيب : وضع عمر للناس كلماتٍ حِكمًا كلها ، وهى :

- ما عاقبتَ من عَصَى الله فيك بمثل أن تُطيعَ الله فيك.
- ضَعْ أمر أخيك على أحْسَنِه ، حتى يجيئك ما يغلبك منه .
- لا تظُنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلمٍ شرًّا وأنت تجدُ لها فى الخير محملاً .

---

(١) المِيسَم : السِّمَة ، وأثر الحسن .

● من كتم سِرّه كانت الخِيَرَةُ بيده .

● من عَرّض نفسَه للتُّهمة ، فلا يلومَنّ من أساء الظّنّ به .

● عليك بإخوان الصّدْقِ تعِشْ فى أكنافهم ؛ فإنهم زينة فى الرخاء ، وعُدّة فى البلاء .

● لا تهاونوا بالحِلف فيهينُكُم الله .

● لا تسأل فيما لم يكن ؛ فإن فيما قد كان شغلاً عما لم يكن .

● عليك بالصدق ، وإن قتلك الصدق .

● احذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمينَ إلا من خَشِىَ الله !

● استشِرْ فى أمرك الذين يَخْشَوْن الله ، فإنما يقول :

﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨].

● آخِ الإخوانَ على التقوى .

● كفى بك عيبًا أن يبدوَ لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسِك ، أو تؤذىَ جليسك فيما لا يعنيك ، أو تعيب شيئًا وتأتى بمثله .

● وقال : لأن أموت بين شُعْبَتَى رَحْلِى أبتغى فضل الله ، أحبُّ إلىّ من أن أموتَ على فراشى .

● وقال لبعضهم : احذرِ النعمة كحذرك المعصية ، وهى أخوفهما عليك عندى !

● وقال – رضى الله عنه – : أحذركم عاقبة الفراغ ؛ فإنه أجمع لأبواب المكروه من السُّكْر .

وقال : أفلح من حفظ من الطمع والغضب والهوى نفسه ، ولا خير فيما دون الصدق من الحديث !

ومن كذَب فجَر ، ومن فجَر هلك .

● وقال – رضى الله عنه – :

قلت : بأبى وأمى يا رسول الله ، ما بالنا نرق على أولادنا ولا يرقون علينا ؟

قال : لأنّا ولدناهم ، ولم يلدونا !!

دستور للعمال والجباة فى معاملة الناس :

قال الراوى ..

وكان عمر – رضى الله عنه – يعلِّم الجباةَ والعاملين على الصدقة كيف يعاملون الناس !

كتب فى الصدقة إلى بعض عماله :

ولا تَحْبِسِ الناسَ أوّلَهم على آخرهم ، فإن الرَّجْن للماشية عليها شديد ، ولها مُهلك(١).

وإذا وقف الرجلُ عليك غنمه فلا تعْتَم من غنمه ، ولا تأخذ من أدناها ، وخذِ الصدقةَ من أوسطها(٢).

وإذا وجب على الرجل سِنٌّ ، ولم تجده فى إبله فلا تأخذ إلا تلك السن من شَرْوى إبله ، أو قيمة عدل(٣).

وانظر ذوات الدَّر والماخض(٤). فنكّب عنها ؛ فإنها ثِمالُ حاضرتهم(٥).



---

(١) المراد : عند أخذ الزكاة لا تحبس أهل الحى بدوابهم كلهم ، وعلل ذلك بأن الزجن وهو الحبس شديد على الماشية ، فما بالنا بالناس ؟!

(٢) لا تعتم : لا تنتقِ منها خيارها ، والعتام : الخِيار . إنه يرشده ويوجهه إلى أخذ الأوسط وترك الخيار والدون .

(٣) السّنّ : الفصيل إذا نبتت أسنانه . من شروى إبله : من مثل إبله .

(٤) الماخض : الحامل .

(٥) ثمال : غياث . يريد أن ما كان منها يدر لبنا ، أو حاملا فينبغى أن يترك لأصحابه فإنه مصدر رزقهم وغياثهم فى الشدائد .

إخاء وتراحم

قال الراوى :

عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع .

فذهب الغلام بها إليه وقال له : يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « اجعل هذه فى بعض حوائجك ، فقال له :

وصله الله ورحمه !

ثم دعا بجارية وقال لها :

إذهبى بهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه السبعة إلى فلان حتى أنفذها .

فرجع الغلام إلى عمر ، وأخبره ، فوجده قد أعدّ مثلها إلى معاذ بن جبل ، وقال له : انطلق بها إلى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من أمره ، فذهب إليه ، وقال له كما قال لأبى عبيدة بن الجراح ، ففعل معاذٌ مثل ما فعل أبو عبيدة ، فرجع الغلام ، وأخبر عمر ، فقال : « إنهم إخوة بعضهم من بعض » .

رضى الله عنهم أجمعين علمونا كيف يكون الإخاء والتراحم !



عمر وآل الخطاب

عيش آل الخطاب ! :

روى الجاحظ قال :

شهدت الأصمعى يوما ، وقد أقبل على جلسائه يسألهم عن عيشهم ، وعما يأكلون ويشربون ، فأقبل على الذى عن يمينه ، فقال : أيا فلان ، ما إدامك[1]؟

قال : اللحم .

قال : فى كل يوم لحم ؟

قال : نعم .

قال : بئس العيشُ هذا ! ، ليس هذا عيشَ آلِ الخطابِ !

كان عمر بن الخطاب يَضْرِب على هذا ، وكان يقول :

« **مُدْمِنُ اللحم كمُدْمِنُ الخمر !** » .

ثم سأل الذى يليه : وهكذا حتى أتى على آخرهم ، كل ذلك وهو يقول : بئس العيشُ هذا ! ليس هذا عيشَ آل الخطاب ! كان عمر بن الخطاب يضرب على هذا !

فلما انقضى كلامه ، أقبل عليه بعضهم فقال :

يا أبا سعيد ، ما إدامك ؟!

قال : يوما لبن ، ويوما زيت ، ويوما سمن ، ويوما تمر ، ويوما جُبْن . ويوما قِفار، ويوما لحم . عيش آل الخطاب ! وخير الطعام ما خف على المعدة ، وسهل هضمه ، وليس الإدمان على اللحم من ذلك فى شىء !

لقد فطن إلى ذلك كثير فتخففوا من الطعام فصمت أجسامهم وغفلنا فاعتللنا ، واختلت موازين صحتنا .

ولقد أوصى حكيم بلغ التسعين بنيه فكان مما قال :

لقد نيَّفت على التسعين ، ما شكوت يوما مرضا ، وما لذلك من سبب إلا

(١) الإدام ، ما يؤكل مع الخبز .

التخفيف من الطعام ، وقانا الله شر البطون !

رفق عمر بأهله :

قال الراوى : كان أعرابى يعاتب زوجته ، فَعَلا صوتُها صوتَه ، فساده ذلك منها وأنكره عليها ، ثم قال :

والله لأشكوَنّكِ إلى أمير المؤمنين ، وبينما هو عند بابه فى انتظار خروجه حتى يرفع إليه شكواه ، سمع امرأته تستطيل عليه وتقول :

اتقِ الله يا عمر فيما ولاّك ، فقال الرجل وهو يهم بالإنصراف - : إذا كان هذا حالَ أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟ وفيما هو كذلك خرج عمر ، فلما رآه قال له : ما حاجتك يا أخا العرب ؟

فقال الأعرابى : يا أميرَ المؤمنين ، جئت إليك أشكو خُلُقَ زوجتى ! وإستطالتَها علىّ ، فرأيت عندك ما زهّدنى ، إذ كان ما عندك أكثر مما عندى ، فهممت بالرجوع وأنا أقول :

إذا كان هذا حالَ أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟

فتبسم عمَر وقال : يا أخا الإسلام ، إنى احتملتها لحقوق لها علىّ :

إنها طباخة لطعامى ، خبّازة لخبزى ، مرضعة لأولادى ، غاسلة لثيابى ، وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى !

عمر يقيم الحد على ولده :

قال الراوى : كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من العدل والسياسة إلى حد أقام فيه الحد على ولده حتى مات ،.وكان إذا أنفذ عمالاً إلى أعمال قال لهم :

إشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ، ولا تمدوا أيديكم إلى بيت مال المسلمين ، ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج ! رضى الله عنه وأرضاه !

إنصاف !

قال الراوى : أتت امرأة بزوج لها أشعث أغبر إلى أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب - رضى الله عنه - وقالت :

يا أمير المؤمنين ، لا أنا ولا هذا ، خلصنى منه ، فنظر إليه عمر ، وعرف ما كرهت منه ، فأشار إلى رجل ، وقال له :

إذهب به وحَمِّمه ، وقلّم أظافره ، وخذ من شعره ، وأتنى به ، فذهب وفعل ذلك ، ثم أتاه فأومأ إليه عمر : أن خذ بيدها ، وهى لا تعرفه ! فقالت :

يا عبد الله ، سبحان الله ! أبين يَدَىْ أمير المؤمنين تفعل هذا ؟! فلما عرفته ، ذهبت معه !

فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن ! إنهن يُحْبِبْن أن تتزينوا لهن ، كما تحبون أن يتزيَنّ لكم !



حق الزوجة :

قال الراوى :

ذكر الزبير بن بكار قال :

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجى يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه ، وهو يعمل لطاعة الله - عز وجل - فقال لها : نعم الزوجُ زوجُك !

فجعلت تكرر عليه القول ، ويكرر عليها الجواب :

فقال له كعب الأسدى : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه !

فقال عمر : كما فهمْت كلامها فاقضِ بينهما .

فقال كعب : عَلَىَّ بزوجها ، فأُتِى به ، فقال له :

إن امرأتك هذه تشكوك ، قال :

أفى طعام أو شراب ؟

قال : لا .

فقالت المرأة :

يأيها القاضى الحكيمُ رشده ... ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهّده فى مضجعى تعبُّده ... فاقض القضا كعبٌ ولا تردّده
نهارُه وليلُه ما يَرْقُدُه ... فلستُ فى أمر النساء أحمَدُه

فقال زوجُها :

زهّدَنى فى فرشها وفى الحجَل ... أنّى امرُؤ أذهلَنى ما قد نزل[1]
فى سورة النحل وفى السّبع الطُّوَل ... وفى كتَاب الله تخويف جَلَل[2]

---

(١) الحجَل : جمع حجَلة بفتحتين وهى بيت يزين للعروس بالثياب والأسرة والنور .

(٢) السبع الطُّوَل من سور القرآن هى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف واختلفوا فى السابعة فقيل : الأنفال وبراءة معا وكأنهما سورة واحدة بتسمية واحدة وقيل : يونس . والمراد بالتخويف ما أعد من العذاب للعاصين والثواب للطائعين مما دفعه إلى الانهماك فى العبادة حتى قصر فى حقوق الزوجية ورده كعب إلى الصواب .

فقال كعب :

إن لها حقا عليك يا رجل نصيبها فى أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم إن الله – عز وجل – قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة من أيام ولياليهن ، تعبد فيهن ربك .

فقال عمر : والله ما أدرى من أىّ أمر بك أعجب ؟

أمن فهمك أمرها ؟ أم من حكمك بينهما ؟

إذهب فقد وليتك قضاء البصرة !

مما يسعد الرجل :

وعمر – رضى الله عنه – الأب يرى السعادة كل السعادة أن يجد الرجل بناته وأخواته ، ومن يعولهن قد تقدم لهن من يعرف لهن حقهن ، إنه يقول :

من حظِّ المرء نَفَاق أَيِّمه[1]، وموضع حقه يريد أن يكون حقه عند من لا يجحده .

نعم العِدْلان ، ونعم العِلاوة ! :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعلق على الآيات عقب سماعها بما يلقى الضوء عليها ..

قال فى قوله تعالى : ﴿ **أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة : ١٥٧] .. نِعْم العِدْلان ، ونعم العلاوة[2]!!

رضى الله عن آل الخطاب بقدر ما صبروا وعَفُّوا !

---

(١) الأيِّم : غير المتزوجة ، ولا يُرغَب فيها . أى من سعادة الرجل أن تخطب غير المتزوجات من بناته وأخواته .

(٢) العِدلان : (بكسر العين) الحملان المتعادلان على جانبى البعير . والعِلاوة : الزيادة على ظهره . والمراد نعم الجزاء العادل ، والفضل من الله بعد ذلك .

عمر القدوة والمثل

مثال العبودية الحَقّة :

قال الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – مثال العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى ..

طَلَى بعيراً من الصدقة بالقَطِران ، فقال له رجل : لو أمرتَ عبداً من عبيد الصدقة كفاكه !

فضرب بالثَّملة[1] على صدره ، وقال :

أَعَبْدٌ أَعْبَدُ منى ؟!

صدق الورع :

وكان عمر – رضى الله عنه – وَرِعًا ، يعرف أن صدق الورع يستنزل الرحمات . إنه يقول :

لو صليتم حتى تكونوا كالحَنِيّ[2] ما نلتم رحمةَ الله إلا بصدق الورع !

كراهية الموت :

الموت قضاء الله ، وشأن المؤمن أن يرضى بقضاء الله ، ويتوقع الموت فى كل لحظة ، ومن أجل هذا يقول عمر – رضى الله عنه – :

كل عملٍ كرهت من أجله الموت فاتركْهُ ، ثم لا يضرّك متى مِتّ[3]

التوجه فى الوجه ثلاث مرات :

وكان عمر – رضى الله عنه – يطلب أن يحاول كل منا مرة وأخرى وثالثة ، فإذا لم يتحقق له ما أراد فلينصرف عنه إلى غيره .. إنه يقول :

---

(١) الثملة : (بفتح الميم وسكونها) خرقة يطلى بها البعير بالهناء (القَطِران) .

(٢) الحنِىّ : القوس . أى مهما بالغتم فى الركوع دون خشوع لله وخضوع وصدق ورع ، وتوق للمحارم ، فلن تنالكم رحمة الله .

(٣) فى زهر الآداب أن القول لأبى حازم .

إذا توجّه أحدكم فى الوجه ثلاث مرات ، فلم يرَ خيراً فليدعه[1].

الفقه قبل السيادة :

ما قيمة السيادة بلا فقه ؟!

إن الخليفة عمر - رضى الله عنه - يوجه الأنظار إلى ما ينبغى أن يكون عليه من يُسَوِّدُه قومُه ليكونَ أهلاً للسيادة ، فيقول : تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا .

ذوو الألباب والموت :

الدنيا خداعة ، تستولى على من يحبونها ، وتنسيهم الآخرة ، ولكن الموت فضحها ، فواجب ذوى الألباب أن يفكروا فى مصيرهم ، وألا ينخدعوا بها .. إن عمر رضى الله عنه - يقول :

إن الموت فضح الدنيا ، فما ترك لذى لُبٍّ فرحا .

خبرته فى البيع والشراء :

وتتجلى خبرته فى تلك النصيحة الغالية ، فليس بعد الكمال إلا النقص ... إنه يقول :

بعِ الحيوانَ أحسنَ ما يكون فى عينيك !

فلتات اللسان :

وكان عمر - رضى الله عنه - يحذر من فلتات السباب لما يَعْقُبها من ندم فيقول :

احذر من فَلَتاتِ السِّباب كلما أورثك النَّبز[2]، وأعلقك اللقب ؛ فإنه إن يعظم بعده شأنُك يشتد عليه ندمُك !

أربعة يلقى عمر الضوء عليها :

ومن أدرى من عمر بأجود الناس ، وأحلمهم وأبخلهم ، وأعجزهم إنه يقول :

● أجود الناس : مَن جادَ على مَن لا يرجو ثوابَه .

---

(1) والشاعر العربى يقول :

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

(2) النَّبز بالباء المفتوحة : اللقب ولا يكون إلا فى الذّم .

● وأحلمهم : من عفا بعد القدرة .

● وأبخلهم : من بَخِلَ بالسلام .

● وأعجزهم : الذى يعجِز فى دعائه .

ما الجزع مما لابد منه ؟! :

وكانت خطبة – رضى الله عنه – حافلة بالتوجيهات السديدة خطب – رضى الله عنه – فقال :

أيها الناس ، ما الجزع مما لابد منه ؟!

وما الطمع فيما لا يُرجى ؟!

وما الحيلة فيما سيزول ؟!

وإنما الشىء من أصله ، وقد مضت قبلنا أصول ونحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله ؟

إنما الناس فى هذه الدنيا أغراض تنتضِلُ المنايا فيهم[1] وهم نهب المصائب .

مع كل جرعة شَرَق .

وفى كل أكلة غصص !

لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى !

ولا يستقبِل مُعَمَّر من عمرٍ يومًا إلا بهدْم آخر من أجله ! وأنتم أعوان الحُتُوفِ على أنفسكم ، فأين المهربُ مما هو كائن ؟! وإنما يتقلَّب الهارب فى قدرةِ الطالب ، فما أصغرَ المصيبة اليومَ مع عِظَم الفائدة غداً ! أو أكثرَ خيبة الخائب !

جعلنا الله وإياكم من المتقين .

القلب الكبير :

قال الراوى : جاء فى سراج الملوك للطرطوشى :

وكان أبا العيال يسلم على أبوابهن ويقول : ألكن حاجة ؟ وأيتكن تريد أن تشترى

(١) تنتضل المنايا فيهم : تتسابق إليهم المنايا . ، ومن المؤلفين من ينسب هذه الخطبة لعمر بن عبد العزيز ، وانفرد ابن أبى الحديد بنسبتها إلى على .

شيئا فيرسلون معه بحوائجهن . ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده .

وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعه بنفسه فى منازلهن يكتب أزواجهن ويقول : أزواجكن فى سبيل الله ، وأنتن فى بلاد رسول الله ﷺ ، إذا كان عندكن من يقرأ ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن .

متعة الحج :

وكان عمر – رضى الله عنه – ينشد الكمال ، ويرى من الأفضل ألا يفك المحرم إحرامه بعد العمرة ثم يعود إلى الحج .. إنه يقول فى متعة الحج :

قد علمتُ أن رسول الله ﷺ قد فعلها وأصحابه ، ولكنى كرهت أن يظلوا بهن مُعْرِسِين[1] تحت الأراك[2]، ثم يلبون بالحج تقطر رءوسهم .



(١) معرسين : مُسلمّين بأهلهم .

(٢) والأراك من أشجار مكة يتخذ منه السواك .

أقوى ميزات عمر !!

قال الراوى*:

لعل من أهم الفروق التى تميز المسلمين فى أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم : « خُلُق الرجولة » .

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة .. وأقوى ميزات عمر أنه كان رجلا لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يمالىء عظيما أو أميرا ، يقول فى إحدى خطبه :

أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عِندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

وينطق بالجمل فى وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال ، كأن يقول : يعجبنى الرجُل إذا سِيمَ خُطّة خَسْفٍ[1] أن يقول : لا بملء فمه » ويضع برامج لتعليم الرجولة فيقول :

« علموا أولادكم العَوْم والرماية ، ومُرُوهم فليثبوا على الخيل وثبا ورَوُّوهم ما يجمل من الشعر » .

ويضع الخطط لتمرين الوُلاة على الرجولة ، فيكتب إليهم :

اجعلوا الناس فى الحق سواء : قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم .

وإياكم والرُّشا والحُكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب » ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة فيقول :

ألا لا تضربوا المسلمين ، فتذلّوهم ، ولا تُجَمّروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغِياض فتضيعوهم » .

لقد كان عصر صدر الإسلام مظهر للرجولة فى جميع نواحى الحياة وكيف لا وقد كان رسولنا ﷺ مثلا أعلى للرجولة .. فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة .. إيمان لا تزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب

---

* من مقال للدكتور أحمد أمين بتصرف .

(١) إذا أذيق ذلا أو أرغم عليه .

فى نصرة الحق ، وهُيام بمعالى الأمور ، وترفع عن سَفْسَافها ، وعندما لحق بالرفيق الأعلى خلف مبادىء خالدة على الدهر كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها .

وكانت الرجولة عندهم صفة جامعة لكل صفات الشرف من إعتداد بالنفس ، وإحترام لها ، وشعور عميق بأداء الواجب مهما كلفه من نصَب ، وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها ، والدفاع عنها ، والإعتزاز بها وإباء الضيم لنفسه ولها .

فهل آن الأوان لكى نضع برنامجا دقيقا للرجولة يبدأ برعاية الطفل فى بيته ، فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه ، كما يحافظ على الصك يوقع عليه .

ويعلمه كيف يكون رجلا فى ألعابه .

ويساير خطاه فى المدرسة فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يقدم على فعل الخطأ ، وإن غفلت عنه أعين الرقباء ، ولا يغش فى الإمتحان ولو ترك وحده ، وكيف يعطف على الضعفاء ، ويبذل لهم ما استطاع من معونة .

ويتمشى مع الطالب فى جامعته ، فيعوده الإعتزاز بنفسه ، والإعتزاز بجامعته ، والإعتزاز بأمته ، ويبعثه على أن يفكر فى غرض شريف له فى الحياة يسعى لتحقيقه .

ويتابع الأمة فيضع لها الأدب الذى يبعث القوة والأناشيد التى تملأ النفس أملا ، ويأخذ على أيدى الساسة والحكام ، ورجال الشرطة حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ، ولا يُرهبوهم فيذلوهم !

رضى الله عنه كم ضرب القدوة والمثل للناس أجمعين !



كيف عمل عمرُ على رفع المعاناة عن رعيته ؟!

يقول الرواة :

« إن عمر - رضى الله عنه - قال عن أبى بكر :

إنه أتعبَ مَنْ بَعده !

وليس من شك فى أن عمر كان أشدّ من أبى بكر إتعابا لمن جاء بعده !

فسيرة هذين الإمامين قد نهجت للمسلمين فى سياسة الحكم ، وفى إقامة أمور الناس على العدل والحرية والمساواة ، نهجا شق على الخلفاء والملوك من بعدهما أن يتبعوه ، فكانت نتيجة قصورهم عنه - طوعا أو كرها - هذه الفتنة التى قتل فيها عثمان - رضى الله عنه ، والتى نَجمتْ منها فتن أخرى قتل فيها على - رضى الله عنه ، وسفكت فيها دماء كثيرة كره الله أن تسفك ، وانقسمت فيها الأمة الإسلامية انقسامًا مازال قائما إلى الآن » .

البدء بالنفس :

وكان عمر - رضى الله عنه - المثل والقدوة بدأ بنفسه عام الرمادة فامتنع عن أكل السمن والزيت ليشارك رعيته وكان حريصاً على العدل والمساواة ..

ففى حديثه أنه انكفأ لونه[1] فى عام الرمادة حين قال :

لا آكل سمنا ولا سمينًا .

وأنه اتخذ أيامَ كان يُطعم الناس قِدْحًا فيه فرض[2]، فكان يطوف على القصاع ، فيغمر القِدح ، فإن لم تبلغ الثريدة الفَرْضَ قال : فانظر ما الذى يُفعل بالذى ولى الطعام .

---

(١) انكفأ لونه : تغير وامتقع وعلته صفرة .

(٢) القِدح : السهم . والفَرْض العلامة . قطعة من الخشب معلمة ومرقمة أشبه بالمتر يقيس بها ما يخص كل فرد فى أيام المجاعة ليسوى بينهم جميعا . ويا ويل من يشرفون على التوزيع إن نقصت قصعة أحدهم ! وبهذا عبرت الأمة الأزمة الطاحنة بالعدل والمساواة والمشاركة الفعلية والوجدانية .

مسئولية الحاكم :

قال الراوي : لما رجع عمر – رضى الله عنه – من الشام إلى المدينة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز فى خبائها فقصدها ، فقالت :

يا هذا ما فعل عمر ؟

قال : قد أقبل من الشام سالما .

فقالت : لا جزاه الله عنى خيرا ، قال : ولِمَ ؟

قالت : لأنه – والله – ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم !

فقال : وما يدرى عمر بحالك ، وأنتِ فى هذا الموضع ؟!

فقالت : سبحان الله ! والله ما ظننت أن أحدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها !!

فبكى عمر – رضى الله عنه – وقال :

واعُمَراه ! كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر !! ثم قال لها : يا أمةَ الله ، بكم تبيعننى ظلامتك من عمر ؟! ؛ فإنى أرحمه من النار !!

فقالت : لا تهزأ بنا – يرحمك الله !

فقال : لست بهزّاء ، فلم يزل بها حتى أشترى منها ظُلامتها بخمسة وعشرين ديناراً ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب ، وابن مسعود – رضى الله عنهما – فقالا :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت :

وأسواتاه ! شتمت أمير المؤمنين فى وجهه !

فقال لها عمر – رضى الله عنه – لا بأس عليك رحمك الله ! ثم طلب رقعة يكتب فيها ، فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها ، منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا ، فما تدعى عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى ، فعمر منه برىء ! ،،،

شهد على ذلك : على بن أبى طالب وابن مسعود .

ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال : إذا أنا مت فاجعله فى كفنى ، ألقى به ربى !

رضى الله عن عمر وأرضاه ، وأثابه وقربه وأدناه ، نهض بالحكم فوفاه ، مما لم يرد التاريخ له ضريبا ، فتح الفتوح ، ومصّر الأمصار ودون الدواوين ، وأقام العدل ، بادئا بنفسه وأهله ، وأحسن القيام على بيت المال ، فوفر القوت ، وقسمه بالسوية ، ونشر الأمن وعسَّ بالليل ، يتفقّد الرعية إلى غير ذلك مما لا يأتى عليه الحصر ، وقد يُخْطِئُه العد .

وقصته مع تلك المرأة واحدة من ألوف أمثالها ، ولولا أن لها شهودًا ، لضاعت فى التاريخ ، فما كان عمر يحب أن يتحدث عنه الناس فى ذلك ، وإنما كان يحب أن يجعله سرا بينه وبين الله !!

من يحمل عنى ذنوبى ؟! :

يقول الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – أهلاً لتحمل المسئولية ، يتولى بنفسه أمور رعيته ، ويشرف عليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، لا تمنعه أعباء الخلافة ، ولا مسئوليات الحكم ..

رُوى أنه كان يحمل الدقيق على ظهره ، فقال له بعضهم : دعْنى أحْمِلْه عنك .

فقال عمر : ومن يحمل عنى ذنوبى ؟!

الفرج بعد الشدة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يؤمن إيمانا عميقا بأن بعد الشدة فرجاً ، وأن الصبر مفتاح الفرج ..

لما حُصِر أبو عبيدة كتب إليه عمر – رضى الله عنه :

مهما ينزل بامرىء من شِدّةٍ يجعل الله بعدها فرجًا ، إنه لن يَغْلبَ عُسْرٌ يسرين ، إنه يقول :

﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[1]

[آل عمران : ٢٠٠].

---

(١) صَبر : تجلّد ولم يجزع ، والمصابرة المغالبة فى الصبر . والمرابطة : ملازمة الثغور وموضع المخافة .

المساواة :

وكانت المساواة بين الناس أملا يعمل على تحقيقه ويسعى إلى تطبيقه ..

قال – رضى الله عنه – لئن بقيت لأسوّيَنّ بين الناس حتى يأتى الرجلَ حقُّه فى صفنه[1]، لم يعرَق فيه جبينه !

إنصاف واعتراف :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف لخالد بن الوليد فضله وقدره حتى بعد موته ..

قيل له : إن النساء قد اجتمعن يبكين على خالد ، فقال : وما على نساء بنى المغيرة أن يسفكن من دموعهن على أبى سليمان.! ما لم يكن نَقْع[2]، ولا لقلقة[3].

الرعية والراعى :

خرج عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يوما وهو خليفة فى حاجة له ماشيا ، فأعيى . فرأى غلامًا على حمار له ، فقال :

يا غلام ، احملنى فقد أُعْيِيت ، فنزل الغلام عن الدابة ، وقال :

اركب يا أميرَ المؤمنين ، فقال :

لا .. اركب أنت ، وأنا خلفك ، فركب خلف الغلام ، حتى دخل المدينة والناس يرونه !

من تجاربه الحياتية :

ولعمر – رضى الله عنه – تجارب يزود بها المسلمين بني الحين والحين .. إنه يقول :

فرِّقوا عن المنية[4]، واجعلوا الرأسَ رأسين[5].

---

(١) الصفن : حقيبة الراعى ، والمراد : حيث يوجد .
(٢) النقع : الغبار ، والمراد به ذلك الذى يوضع على الرءوس والوجوه !
(٣) اللقلقة : رفع الصوت بالعويل .
(٤) فرقوا عن المنية : لا تجمعوا فى الأوبئة والطواعين والأمراض المعدية .
(٥) لث بالمكان : أقام فيه ، والمراد : لا تقيموا فى مكان تعجزون فيه عن تحقيق أملكم .

ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجزَة[1].

وأصلحوا مثواتكم[2]

وأخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفَكُم .

التواضع .. والتكبر :

وكان عمر – رضى الله عنه – متواضعا ، ومن أجل هذا نراه يحث على التواضع ، ويبين ما يجنيه الكبر على صاحبه ؛ فيقول :

إن العبدَ إذا تواضع رفع الله حَكَمتَه ، وقال : انتعِشْ نعشك الله ! وإذا تكبّر وعَدَا طَوْرَه وهَصَه اللهُ إلى الأرض[3]!

خوفه من الربا :

وكان عمر – رضى الله عنه – يخاف على الأمة الربا ولهذا نراه يُغلق أبوابَه فنراه يقول :

« لا تشتروا الفضة والذهب إلا يدا بيد ، فإنى أخاف عليكم الربا » .

لا عزةَ إلا بالإسلام :

وكان عمر – رضى الله عنه – يرى أن العزة لله ولرسوله وللمسلمين وأن خير ما يعتزّ به المسلم هو إسلامه ، وبدون الإسلام لا تُغْنى مظاهرُ الحياة كلُّها صاحَبها فتيلا ! قال له أبو عبيدةَ حين نزل عن ناقته ، وخلع خُفَّيْه ، وخاض المخاضة :

ما يسرّنى أن أهلَ البلد استشرفوك[4]؛ أى رأوْك !

فقال له عمر – رضى الله عنه – :

لو غيرُك يقول هذا لجعلته نكالا ، إنا كُنَّا أذَلَّ قومٍ ، فأعزّنا الله بالإسلام ؛ فإن طلبنا العِزّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا[5]!!

---

(١) واجعلوا الرأس رأسين : اشتروا بثمن الواحد من الحيوان اثنين ؛ فإذا أصاب الموت أحدهما بقى الآخر .

(٢) المثاوى : جمع مثوى . مكان الإقامة .

(٣) الحَكَمة : ما أحاط بفم الدابة من حديدة أو لجام . والمراد : رفع الله رأسه . وهصه الله : جذبه جذبا شديداً .

(٤) استشرفوك : أطلّوا عليك واطلعوا . والمخاضة فى الشام ، وقد خاضها عمر وهو ذاهب إليه .

(٥) المستدرك على الصحيحين ١ : ٦٢ .

ما عند الله خير وأبقى :

وكان عمر – رضى الله عنه – يزهد فيما تمتلىء به حياتنا الدنيا من الطيبات أملا فى طيبات الآخرة ..

قال لربيع بن زياد الحارثى : يا ربيع ؛ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق ، وسبائك وصِناب[1].

ولكنى رأيت الله – عز وجَلّ – نعى على قوم شهواتِهم ، فقال : ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

واجب الآباء والأزواج تجاه أولادهم وبناتهم :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف أثر التربية الجسمية فى إعداد أجيال المستقبل إلى جانب تربية الذوق وتنمية المشاعر ، ويوجه نظر المرأة إلى ما يعود عليها بالنفع ؛ فنراه يقول :

علموا أولادكم العَوْمَ والرمايةَ ، ومُرُوهُم فليثبوا على الخيل وثْبًا ، ورَوُّوهم ما جَمُل من الشعر ، وخير خُلُق المرأة المِغْزَل .

درس فى الاقتصاد :

وكان عمر – رضى الله عنه – خبيرا بفن الحياة ، وكان على رأس المسلمين يوم واجهوا عام الرمادة فقاد خطاهم وتغلب على الأزمة ونجا المسلمون من خطر المجاعة .

خطب مرة فقال :

يٰأيها الناس ، لا تأكلوا البيض ، فإن أحدكم يأكل البيضة أكلةً واحدة ، فإن حضنها خرجت منها دجاجة فباعها بدرهم[2].

نظرة مستقبلية :

وكان عمر – رضى الله عنه – يدفع أصحابه إلى العمل ليؤمنوا أنفسهم فى مواجهة الحياة بدلا من الاعتماد على أرزاق بيت المال .. وأنه لا بديل للمساعدات التى

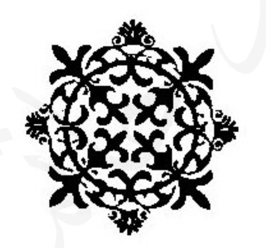
---

(١) الصلائق : الرقاق . والسبائك : ما سبك من الدقيق فأخذ خالصه . والصناب : الخردل بالزبيب . النهاية

(٢) جاء فى العقد الفريد ٦ : ٢٠١ قال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة .

نتلقاها سوى سواعدنا وعملنا وإنتاجنا !!

قال لرجل : مَا مَالك ؟ قال : ألفان مضمونان فى بيت المال .
فقال : اتخذ مالا سوى هذا ؛ فيوشك أن يأتى من لا يُعطى إلا من يحب !



أبـو الـعِيـال

قال الراوى: أهم ميزة تميز الإسلام أنه دين السماحة ، والعدالة ، والتضامن الاجتماعى ، والتكافل بين الرعية . وكان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى سماحة الخُلق ، وسماحة النفس ، وكرم الطبع ، والحدب على الرعية .

وعلى هداه سار عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى توخى العدالة الاجتماعية فى أروع صورها ، فلم يكن يؤثر بالمال فريقا على فريق ، أو طائفة على طائفة ، إنه يقول فى إحدى خطبه :

والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ! ، وما أنا أحق من أحد به .

والله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب ، إلا عبدا مملوكا ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله ، وقَسْمنا من رسول الله ، والرجل وبلاده فى الإسلام ، والرجل وقومه فى الإسلام ، والرجل وعَناده فى الإسلام » .

ويقول فى خطبة أخرى :

« لكم علىّ ألاّ أجتبى شيئا من خراجكم ، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه .

ولكم علىّ إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه . ولكم علىّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله ، وأسُدّ ثغوركم ، وإذا غبتم فى البعوث فأنا « أبو العيال » حتى ترجعوا إليهم .

إنه لا يؤثر فريقًا بالمال دون فريق إلا بمقدار دوره فى خدمة الإسلام ، والعمل على دعم أركانه ، وصيانة بنيانه .

لقد كان حريصا كل الحرص على إنفاق الأموال فى وجوه الخير والبر ، والقضاء على الفوارق بين المسلمين ، وكان يحاسب ولاته حسابا عسيرا فى تطبيق ذلك ، ويسأل عن مصادر ثروتهم ، وأسباب غناهم أو رفعتهم .

كان الوفد إذا قدم على عمر – رضى الله تعالى عنه – يسأل عن أميرهم فيقولون خيرا ، فيقول :

هل يعود مرضاكم ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه .

فإذا قالوا لخصلة منها « لا » عزله .

وروى الطبرىّ :

« أنه كان لا يأكل نَقِيًّا[1]، ولا يلبسُ رقيقًا ، ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس » .

لقد بدأ بنفسه ، فضرب المثل لرعيته ، والناس على دين ملوكهم .

لما انتصر المسلمون على كسرى ، وتقوضت دعائم مملكته ، نقل المسلمون نفائس قصره إلى المدينة !

وهنا وقف عبد الله بن الأرقم ، وخاطب الفاروق عمر قائلا :

اجعلها في بيت المال حتى نقسمها ، فقال عمر بن الخطاب : والله لا يُظِلها سقف بيت دون السماء ! ؛ فتركت هذه النفائس الغالية ، وهذه الذخائر الثمينة بين صُفَّتَيْ[2] المسجد : صُفّة النساء ، وصفة الرجال ، وبات القوم يحرسونها حتى تنفس الصبح ، وانبلج النهار ، فكشف عمر عنها الغطاء فرأى الذهب والفضة ، ففاضت عيناه بالدموع ، وانسابت على خديه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف :

ما يبكيك يا أميرَ المؤمنين !! ، فوالله إن هذا اليوم ليوم شكر ، ويوم فرح وسرور ؟!

فقال عمر بن الخطاب : لا والله ما فتح الله على قوم هذا قط إلا جعل بأسهم بينهم ، وألقيت بينهم العداوة والبغضاء !

---

(١) النقِيّ : الدقيق الجيد الخالص .

(٢) الصُفّة : الظُّلّة .

ونهض عمر بن الخطاب ، وشرع يقسم الغنائم بين المسلمين ! وتمر الأيام .. وتتحقق فراسة ابن الخطاب .. وتندلع الفتنة الكبرى التى أطاحت بخلافة عثمان ! وما نزال نكتوى بنارها !!

رضى الله عن عمر كم رفع المعاناة ، وكم وجه إلى ذلك الولاة !



من أوّليات الفاروق

من النظم الطريفة التى وضعها الفاروق ، ودلت على نصاعة تفكيره ، ورجاحة عقله ! أنه فرض للمولود حين يفطم ١٠٠ درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتى درهم .

وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم ، إلى أن سمع امرأة ذات ليلة ، وهى تُكْرِه وليدها على الفطام وهو يَبكى ، فسألها عنه فقالت :

إن عمر لا يفرض لمولود حتى يفطم ، فأنا أُكرهه على الفطام كى يفرضَ له !

فقال : يا ويلَ عمر !! كم احْتقَبَ من وِزر وهو لا يعلم ! ثم أمر مناديه فنادى : ألّا تعجلوا أولادكم بالفطام ، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق وكذلك كان يفرض للقيط مائة درهم ، ورزقا يأخذه وليه كل شهر ، ويزيده من سنة إلى سنة ، وكان يوصى باللقطاء خيرا ، ويجعل رضاعهم ، ونفقتهم من بيت المال .

رضى الله عنه .. وجزاه الجزاء الحسن الجميل .



عمـر والمـال العـام

قال الراوى :

وكان عمر شديداً على نفسه كل الشدة ، وشديدا على غيره كل الشدة أيضا فى مال المسلمين ، فكان يحاسب نفسَه أشد الحساب على ما يأخذ من مال المسلمين لنفقته ونفقة أهله ! وكان يقول : إنى أنزلت نفسى من هذا المال بمنزلة مال اليتيم ، ثم يقرأ قول الله - عز وجل - من سورة النساء :

﴿ **ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** ﴾ [النساء : ٦]

والناس على دين ملوكهم فقد سار عماله على هذا النهج فأين أولئك الذين تمتد أيديهم إلى أموال المسلمين - مما كان عمر - رضى الله عنه - يفعله ؟!! ومن لنا بعمر لينقذ المال العام من أيدى اللئام !! لقد كان - رضى الله عنه - كما قال الرواة :

إن استغنى عفّ ، وإن افتقر أكل بالمعروف !

لقد كان يشبه نفسه أحيانا برجل سافر مع جماعة من أصحابه فدفعوا إليه أموالهم ، وكلفوه أن يُنْفِقَ عليهم منها ، فما ينبغى له أن يُؤْثِرَ نفسَه من دونهم بقليل أو كثير من هذا المال .

ألم يستشر أصحابه فيما يحل له من هذا المال ؟!

ويقول له : بعضهم : يحلّ لك منه ما يُصلحك ، ويُصلح أهلك ، ويقول له على بن أبى طالب - رحمه الله - يحل لك منه الغَدَاء والعَشَاء . فقبل رأى على ، فما كان يزيد على أن يأخذ من بيت المال ، ما يمكنه من أن يأكل ويطعم أهله طعام أوساط الناس من قريش .

وكان يستحل من بيت المال كسوة نفسه : حُلّة فى الشتاء ، وأخرى فى الصيف .

لقد كان يشدد على نفسه إيثارا للزهد ، ومخافة أن يحيا حياة ألين من حياة النبى ﷺ وحياة أبى بكر .

لقد وضع أمام عينيه حياة صاحبيه فكان يقول :

إن لى صاحبين ، سلكا طريقًا ، وأخشى إن خالفتُ سيرتَهما أن يُخَالَف بى عن طريقهما .

فإلى الذين قصّروا عن الإحتفاظ بهذه النظم الإجتماعية ، وعن تثبيتها .. وإلى الذين أضاعوا هذه النظم ، وأهملوا أتباع ما هيأ لهم عمر من وسائل الرق والعزة ، فى ظل العدل والأمن والمساواة نقول لهم جميعا : اتقوا الله ، وخافوا المحن !!

وإليكم نماذج عليا كانت تصنع ما يصنع عمر :



سعيد بن عامر

تقشف ! :

قال الراوى : عندما زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حِمص بالشام ، جاءه أهلها يشكون واليهم ، سعيد بن عامر ، وعابوا عليه أربع خصال :

١ – لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار .
٢ – ولا يجيب أحداً بليل .
٣ – ويعتزل النّاس يوما فى الشهر .
٤ – ويأتيه إغماء بين حين وحين .

ويسأله عن ذلك فيعلم : أنه يعجن كل يوم خبزَه ، ويخبزه ، بنفسه ثم يخرج . وأنه جعل نهاره للناس ، وليلَهُ لله ، يعبده فيه ، وأنه يغسل ثيابه فى الشهر مرة ، وينتظر حتى تجف .

وأما عن الإغماء ، فقد قال سعيد :

كنت مشركا ، وشهدت مصرع حبيب الأنصارى بمكة ، وقد بضَعَت (قطعت) قريش لحمه ، ثم حملوه على جِذع ، وقالوا له : أتحب أن يكون محمدٌ مكانك ، فقال :

والله ما أحب أن أكون معافىً فى نفسى وأهلى وولدى ، وأن محمداً شِيكَ بشوكة ، ثم نادى : يا محمد ! فما ذكرت ذلك اليوم ، وتركت نُصرة حبيب ، وأنا مشرك ، لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله – عز وجل – لا يغفر لى أبدا فيصيبنى ما يصيبنى يا أمير المؤمنين !

وأمر عمر – رضى الله عنه – أهل حمص يوما أن يسجلوا له فقراءهم ، فلما اطلع على القائمة ، قرأ فى رأسها « سعيد بن عامر » ، فقال : مَن سعيد بن عامر ؟!

قالوا : هو أميرنا يا أمير المؤمنين .

قال عمر : وأميركم فقير ؟! وأين إذن عطاؤه ؟!

قالوا : إنه لا يستبقى منه شيئا !!

فأرسل إليه عمر ألف دينار ، فلما نظر سعيد إلى تلك الدنانير جعل يقول : ﴿ **إن لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

فقيل له : ما شأنك ؟ أأصيبَ أمير المؤمنين ؟!!

قال : أعظم .

قيل : أفظهرت آية ؟

قال : أعظم من ذلك ! .. الدنيا أتتنى .. الفتنة أتتنى ..

فقيل له : لا عليك .. وزّع الدنانير على فقراء المسلمين .. فوزعها سعيد على جيوش المسلمين !!

سَلْمان الفارسى ..

كان من عماله على المدائن : سلمان الفارسى ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار بغير إكاف[1]، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكا زاهدا ، فلما احتُضِرَ بالمدائن قال له سعد بن أبى وقاص :

أوصنى يا أبا عبد الله ! قال :

اذكر الله عند **همك** إذا هممت .

وعند **لسانك** إذا حكمت .

وعند **يدك** إذا قسمت .

ثم جعل يبكى ، فقال له : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟!

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن فى الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخِفّون » . وأرى هذه الأساود[2] حولى ! فنظروا فلم يجدوا فى البيت إلا إدَاوة ، وركوة ، ومطهرة[3].

---

(١) إكاف : البرذعة .

(٢) الأساود : العظيم من الحيات .

(٣) إداوة إناء صغير للماء وركوة للطعام ، ومطهرة يتوضأ منها ويتطهر .

أبو عبيدة :

وكان عامله على الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى ؛ فعُذِل على ذلك[1]، وقيل له :

إنك بالشام ، والى أمير المؤمنين ، وحولنا الأعداء ؛ فغيّر من زِيّك ، وأصْلِح من شارتك فقال :

ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله ﷺ .

وصاياه لعماله :

قال الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – إذا استعمل عاملا أوصاه بتقوى الله ، وإصلاح الرعية ، وكتب عليه كتابا ، وأشهد عليه رهطا من الأنصار :

١ – ألا يركب برذونا !
٢ – ولا يأكل نقيا !
٣ – ولا يلبس رقيقا !
٤ – ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين !

ثم يقول : اللهم اشهد .

وكتب إلى عماله : أما بعد فإياكم والهدايا فإنها من الرُّشا .

لقد اهتدى إلى ضرر الهدايا مما بدر من رجل[2] كان أهدى إليه فخذ جزور فخاصم إليه رجلا فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اقض بيننا قضاء فصلا ، كما تفصل الرِّجل من سائر الجزور ، فقضى عليه عمر !

ثم كتب إلى عماله : إن الهدايا هى الرُّشا .

وكان عمر – رضى الله عنه – إذا قدم العمال يأمرهم أن يدخلوا نهارًا ، ولا يدخلوا ليلا لكيلا يحتجنوا[3] شيئا من الأموال .

---

(١) العذل : اللوم .
(٢) الأشراف لابن أبى الدنيا . وقد سبق ذكر هذه الحكاية من قبل .
(٣) يخفوا ، أو يأخذوا لأنفسهم شيئا .

وكان يعسّ[1] بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقد أحوالهم ، ويتعهد أهل البؤس والفاقة بنفسه .

لقد كان يسهر على أمور الرعية ، وتتبع أخبارها فى آناء الليل وأطراف النهار ، وفرض مالا لكل مولود فى الإسلام ، ورفع الجزية عن الشيوخ الفقراء المسنين الذين لا يستطيعون أداءها .

رحم الله عمر ، ورضى عنه ، وهدانا إلى الاقتداء به ، والانتفاع بسيرته !

بيت المال بين الدين والأمانة ، والتفريط والتضييع :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصا على مال المسلمين أن تمتد إليه يد بالتفريط والتضييع ، ولكنه كان على صيانة دين المسلم وأمانته أحرص !

افتقد من بيت المال أيام عمر أربعةُ آلاف درهم ، وكان بيت المال فى يد وهب ابن منبه[2] فكتب إليه عمر :

أما بعد ؛ فإنا لا نتهم دينك وأمانتك ، ولكن نخاف تفريطك وتضييعك ، وهذا المال للمسلمين ، وليس لأشحهم عليك إلا يمينُك ، فإذا صليت العصر من يوم الجمعة ، فاستقبل القبلة ، واحلف بالله أنك ما أخذتها ، ولا علمت لها آخذا[3] السلام .

من أين لك هذا ؟! :

وكان عمر – رضى الله عنه – يفتح عينيه لكل ما يظهر على عماله ووُلاته من ثراء فيحاسبهم ويقاسمهم ويرد ذلك إلى بيت مال المسلمين ..

مرّ برجلٍ من عُمّاله[4] وهو يبنى بالآجُرّ والحَصى ، فقال : « تأبى الدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها . وشاطَره مالَه » !

---

(١) يطوف بالليل .

(٢) وهب بن منبه : تابعى من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن مات سنة ١١٠ هـ . وقيل ١١٤ ، وقيل ١٢٤ .

(٣) قيل إن هذه الحادثة لوهب حدثت فى أيام عمر بن عبد العزيز الذى عاش إلى عهده على أرجح الأقوال .

(٤) فى عيون الأخبار ١ – ٣ أنه عامله على البحرين .

عمر القدوة يبدأ بنفسه :

قال الراوى : وكان إذا أراد[1] أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن شىء مما فيه صلاحهُم بدأ بأهله ، وتقدم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافِهم أمْره ، وما كان يميز أحداً من آل بيته فى شىء ، وربما هضم بعض حقهم ، وأعطاه من هو أجدر منهم .

« قسم[2] عمر مروطا بين نساء المدينة فبقى فيها مرط[3] جيد ، فقال له بعض من عنده :

يا أميرَ المؤمنين أَعْطِ هذا ابنة رسول الله التى عندك[4]، فقال : أم سُلَيطٍ أحق به ؛ فإنها مِمَّن بايع رسول الله ، وكانت تزفر[5] لنا القرب يوم أُحد » .

وقال أحدهم لعمر : اتق الله يا أميرَ المؤمنين ، فقال : « لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم » .

وردت عليه امرأة ، فرجع إليها وقال : رجل أخطأ ، وامرأة أصابت !

رضى الله عنه كم كان شديد الحرص على أموال المسلمين ، وكم حاسب نفسه وغيره !



---

(١) تاريخ الطبرى .
(٢) تيسير الوصول لابن الديبع .
(٣) المرط : كساء من خز أو صوف يؤتزر به .
(٤) يريد أم كلثوم بنت على .
(٥) تزفر القرب : تخيطها .

عمـر وأبـواب الـفـتـنـة والـثـغـرات التـى يـتـسـرب مـنـهـا الـضـعـف إلـى الأمـة

فتنة الدنيا وزخرفها ! :

قال الراوى : كان أخشى ما يخشاه عمر على شباب قريش أن تفتنهم الدنيا ، فيهجروا موطنهم سعيا وراء ما فيها من خير ونعيم ..

أهدى إليه أبو موسى – رضي الله عنهما – ألوانا من الأخبصة[1]، فقال : ما هذا ؟ قال : الخير قِبَلَنا كثير ، والمُؤونة تَخِفّ علينا .

قال : أطرفت أحداً من أهل المدينة بشيء من هذا ؟

قال : لا .

قال : إياك أن تراه أُغَيْلمة[2] قريش ، فيُضَيِّقُوا عليكم بلادكم !

عمر والشعراء ! :

وكان عمر لا يقرّب الشعراء ، ولكنه يُجرى عليهم رزقا يكفيهم .

كتب مرة إلى المغيرة بن شعبة أن استنشد مَنْ قِبَلَك من الشعراء ما قالوا فى الجاهلية والإسلام[3]، فأرسل إلى الأغلب العِجْلى فقال : إنه على استعداد لأن يُنشده ، ثم أرسل إلى لَبِيد بن ربيعة فقال :

إن شئت أنشدتك مما عُفِيَ عنه من شعر الجاهلية . قال : لا ، أنشدنى ما قلت فى الإسلام ، فانطلق إلى أديم[4] فكتب فيه سورة البقرة ، فقال :

أبدلنى الله مكان الشعر هذا !!

قال : فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر :

---

(١) الأخبصة : جمع خبيص ، وهو طعام من سمن وتمر ودقيق . القاموس .
(٢) أُغَيْلِمَة : اسم مُصغّر مكبّره أغلمة جمع غلام : القاموس .
(٣) الإشراف لابن أبى الدنيا .
(٤) أديم : جلد .

إنه لم يعرف أحدٌ من الشعراء حقّ الإسلام إلا لبيد ، فانْقُصْ من عطاء الأغلب خمسمائة ، واجعلها فى عطاء لبيد .

صلاة التراويح وصلاة آخر الليل :

وكان عمر – رضى الله عنه – مُجتهدا يجمع ولا يفَرِّق .

خرج ليلة فى شهر رمضان والناسُ أوزاع[1] فقال : إنى لأظن لو جمعناهم على قارىء كان أفضل .

فأمر أُبَىَّ بن كعب فأمَّهم ، ثم خرج وهم يصلون بصلاته ، فقال : نعم البدعة هذه ، والتى تنامون عنها أفضل ، يريد : صلاة آخر الليل .

القرآن ولغة قريش :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصا على إقراءِ الناسِ القرآنَ بلغة قريش فهى اللغة الأم :

«أ» رُوى أن رجلا قرأ عليه حَرفاً[2] فأنكره ؛ فقال :

من أقرأك هذا ؟

قال : أبو موسى الأشعرى .

فقال : إن أبا موسى لم يكن من أهل البَهش (والبَهش المُقْل ما كان رطبا ، فإذا يبس فهو الخَشْل) .

وإنما أراد أن أبا موسى ليس من أهل الحجاز ، والمُقْل ينبت بالحجاز .

يريد أن القرآن نزل بلغة قريش .

«ب» ونحوٌ منه قوله – رضى الله عنه – لابن مسعود حين بلغه أنه يُقرِىء الناس : « عَتّى حين » يريد « حَتّى » : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقْرِىء الناس بلغة قريش .

من تجارب عمر :

ولعمر – رضى الله عنه – تجارب نُحْسِنُ صُنعًا لو استفدنا منها ، وإتخذناها

---

(١) أوزاع : فِرَق .

(٢) حرفا : كلمة أو عبارة .

دستوراً لنا .

إنه يقول :

لساني سَبُع ، فإذا أرسلتُه أكَلني .

وقال – رضي الله عنه : من المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة .

غيرته على العربية :

وكان عمر – رضي الله عنه – يغار على لغتنا العربية ويرى أن سوء اللحن أشد من سوء الرماية فقد مَرّ على رُمَاةٍ غَرَضٍ فسمع أحدَهم يقول لصاحبه :

أخطَيْتَ وأسَبْت ، فقال عمر – رضي الله عنه – « مَهْ ؛ فإن سوء اللَّحنِ أشدُّ من سُوء الرمايَة !! »[1].

من المغرور ؟

وكان – رضي الله عنه – يأبى أن يتملّقه من حوله ، ولا يغتر بما يكون من ثنائهم عليه حتى وهو جريح ..

أُثني عليه وهو جريح ، فقال :

المغرور مَن غَرَرْتموه !، ، لو أن لى ما فى الأرض جميعا لافتديت به من هولِ المطَّلَع[2]!

الإبتعاد عن النساء :

وكان عمر – رضي الله عنه – يحاول أن يَسُدّ أبواب الشر والفتنة حتى يظلّ المجتمع الإسلامى بعيدا عن الفتن والآثام .. إنه يقول :

ما بالُ رجالٍ لا يزال أحدُهم كاسراً وِسَادَهُ عند امرأةٍ مُغِيبَة يتحدث إليها وتتحدث إليه ؟!

عليكم بالجِنْبة ؛ فإنها عفاف ؛ فإنما النساء لحمٌ على وَضَم إلا ما ذُبّ عنه[3]!!.

---

(١) مَهْ : اكفف عن كلامك الذى تسرب إليه اللحن وهو : أخطيت وأسبت والصواب : أخطأت وأسأت .

(٢) هول المطّلع : الاطلاع على أهوال يوم القيامة ، فهو يوم الفزع الأكبر !

(٣) الوضم : ما يقطع عليه اللحم ، وذُبّ عنه : دُفع عنه . والمُغيبة : من غاب عنها زوجها للحرب . والجنْبة =

النساء والإماء :

كان عمر يرى أن الإصلاح بين النساء هو دعامة الاستقرار فكان يقول :

اللهم أصلح بين نسائنا ، وعادِ بين إمائنا .

عمر الناقد البصير :

وكان عمر – رضى الله عنه – يتذوق الشعر ، وله فيه آراء صائبة ..

لما أُطلق الحُطَيْئة من محبسه قال : إياك والشعر !

قال : مَأْكَلة عيالى .

قال : قُلْ وإياك والمدحَ المُجْحِف !

قال : وما هو يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : أن تقول بنو فلانٍ خيرٌ من بنى فلانٍ .

قال : أنت – والله – أشعرُ منى !

وكان عمر – رضى الله عنه – يرى أن الشاعر من كان من البادية فشعراء البادية هم أهل الفصاحة ، أما غيرهم فمعانيهم عُور !

سأله العباس عن الشعراء ، فقال :

امرؤ القيس سابقهم ، خسَفَ لهم عين الشعر[1]، فافتقر عن معانٍ عور[2]، أصَحَّ بَصَرٍ .

أربع خصال عاتبته عليها الأمة :

المؤمن مرآة أخيه ، وخير الناس من أهدى إلى المسلم عُيُوبَه ! ، وكان عمر يستمع لرأى الناس فيه روى أن ابن السوادة تفصل ليث قال له : أربع خصال عاتَبَتْك عليها رعيتُك !

الابتعاد . والمراد : تنحوا عنهن وكلموهن من الخارج !

(١) خسف لهم عين الشعر : فتحها .

(٢) افتقر عن معان عور . افتقر : فتح . من الفقير وهى فم القناة . والمعانى العور : غير السليمة ، لأنه من اليمن ، لا من البادية أهل الفصاحة .

وضع عود الدِّرّة ثم ذقن عليها[1]، وقال : هات . قال : ذكروا أنك حَرّمت العمرة فى أشهر الحج :

قال عمر – رضى الله عنه : أجَلْ .

إنكم إذا اعتمرتم فى أشهر حجكم ظننتموها مجزيةً من حجكم ، فقرع حجكم[2]؛ فكانت قائبة قوب عامِها[3]، والحجّ بهاء من بهاء الله .

قال : شكَوْا مِنْك عُنْفَ السياق[4]، ونهرَ الرعية .

قال : فقرعَ الدِّرّة ثم مسَحَها حتى أتى على سُيورها ، وقال : أنا زميل محمد فى غزوة قرقرة الكدر[5]، ثم إنى والله لأُرْتِع فأُشْبِع ، وأسقى فأُرْوى[6].

وأضربُ العَروض[7]، وأزجر العَجُول[8]، وؤدبُ قَدْرى[9]، وأسوق خطوى[10]، وأردّ اللَّفوت[11]، وأضمّ العَنُود[12]، وأكثر الزّجْر ، وأقِلّ الضرب ، وأشْهِرُ العصا[13]، وأدفع باليد ، ولولا ذلك لأعذرت[14]!

الصّبر والشكر :

الصّبر نصف الإيمان ، والشكر يُبْقى على النعمة بل ويزيدها ، ومن أجل هذا

---

(١) ذقن عليها : وضع ذقنه عليها ، والدِّرة عصا عمر .

(٢) قرع حجكم ، زال منه الناس .

(٣) فكانت قائبة قوب : القوب : الفرخ ، والقائبة : البيضة التى تقشرت عن الفرخ .

(٤) عنف السياق : شدة قيادتهم وسياستهم .

(٥) غزوة قرقرة الكدر : كانت فى السنة الثانية بين المسلمين وبنى سليم فى السنة الثالثة من الهجرة . وقد أردفه الرسول ﷺ على بعيره من هنا كان زميله .

(٦) إنه نعم الراعى الشفيق على إبله وغنمه : يرتع فيشبع ، ويسقى فيروى .

(٧) العَروض : الناقة التى تعترض المسيرة وتأخذ يمينا وشمالا وتكاد تسد الطريق .

(٨) العَجول : المتعجل المتسرع الذى يسبق القطيع ويشرد .

(٩) قدرى : أى على قدر طاقتى .

(١٠) وأسوق خطوى : أى أستمر فى سوقها على قدر خطوى .

(١١) اللفوت : سيىء الخلق .

(١٢) العنود : المعاند المنفرد من الإبل .

(١٣) أشهر العصا : أرفعها تخويفا لمثل هؤلاء وأولئك .

(١٤) أعذرت : تركت ورائى ما ذكرت . يقال : أعذر الراعى الشاة والناقة : خلفها وراءه .

نرى عمر – رضى الله عنه – يقول :

لو كان الصبرُ والشكر بعيرين ما باليتُ أيهما أركب !

صحة الأبدان :

إن العقل السليم فى الجسم السليم ، والصحة النفسية والجسمية والعقلية على رأس الأهداف التربوية ومن أجل هذا نرى عمر – رضى الله عنه – يقول :

« لا تزالون أصحاء ما نزعتم ، ونزوتم !

نزعتم فى القِسِىّ !!

ونزوتم على ظهور الخيل !!

فضل القول ، وفضل العمل :

وفرق كبير بين فضل القول وفضل العمل .. وما أشدّ حاجتنا إلى قليل من القول وكثير من العمل :

ولهذا نرى عمر – رضى الله عنه – يقول :

رحمَ اللهُ امرأً أمسَك فضْلَ القول ، وقدّم فضلَ العمل !

الدخول على الأغنياء ! :

وللدخول على الأغنياء أثره فى نفوس الفقراء ولهذا نرى عمر – رضى الله عنه – يقول :

من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الرزق !

الاعتماد على النفس بعد الله :

لم يكن عمر – رضى الله عنه – يحب أن يتولى خدمته غيره حتى ولو كانوا أولاده .

تناول رجلاً شيئا فقال له : خدمك بنوك . فقال : بل أغنانى الله عنهم .

الأمانة بين الأمس واليوم ! :

قال المرلوى : رأى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – عبدا يرعى غنما خارج المدينة ، فاستمنحه منها شاة ، يريد بذلك أن يمتحن أمانته ، فقال العبد : إنى مؤتَمَن ،

ولو كانت الغنم لى لما بخلت عليك بواحدة ، وأنا مملوك لسيدى فلان ، وهو صاحب الغُنم ، فقال عمر : لا تكن أبله ! قل لصاحبك : اختطفها الذئب عندما شردت من القطيع ، وهو لاشك مصدقك ؛ لأن هذا أمر كثير الحدوث ، فاستنكر العبد قوله ، ثم قال :

إذا صَدَّقنى سيدى ، فأين الذى لا تخفى عليه خافية ؟ أين الرقيب ؟

فارتجف عمر من هول الجواب ، وذهب من فوره إلى دار السيد العربى ، وقال له :

بعنى المملوك وما معه من الغنم ، فقال : وهبتهما لك يا أمير المؤمنين تحية لك إذ شرفت دارى !

فاستدعى عمر الراعى ، ولما حضر ورأى الذى كان يحرضه على الخيانة منذ قليل ، وعلم أنه أمير المؤمنين ، أوجس فى نفسه خيفة وتقدم متثاقلا ، فوقف له عمر مرحباً ، وقال :

مَرْحَى مَرْحى يا أخا العرب ، اجلس هٰهنا بجوارى ، واعلم أنك منذ الساعة حر لوجه الله تعالى ، وهذه الأغنام لك !

فعجب الراعى مما سمع !

فقال له عمر : لا تعجب ، لقد قلتَ آنفاً كلمة أنجتك من رِقِّ الدنيا ، وأرجو الله لك أن يُنَجِّيك من عذاب الآخرة .

سلوكيات :

● وكان – رضى الله عنه – إذا اشترى رقيقا يقول :

اللهم ارزقنى أنصَحهم جيباً[1].

● وكان إذا استعمل رجلا يقول : إن العمل كِيْر[2]، فانظر كيف تخرج منه .

أقوال حكيمة :

● قال – رضى الله عنه – :

---

(١) أنصحهم جيبا : أصدقهم سريرة .

(٢) المنصب مورث للكبر .

● أقلل من الدَّيْن تَعِش حُرًّا .

● وأقلل من الذنوب يَهُن عليك الموت .

الدِّينُ الحَيّ :

ودِين الإسلام دِين أملٍ وعمل ، ودين حياة ونشاط ، وسعى وكسب ، لا يعرف الرهبانية والقعود والتماوت !

نظر عمر – رضى الله عنه – إلى رجل مُظهر للنسك متماوت فخفقه بالدِّرّة[1] وقال :

لا تُمِتْ علينا دينَنا أماتك الله !!

لا جدوى من الميئوس منه :

الجرى وراء المستحيل ، والتعلق بما هو ميئوس منه مَضْيَعة وأى مضيعة ! ولهذا نرى عمر – رضى الله عنه – يقول : **من يئس من شيء استغنى عنه .**

عمر والنساء :

إذا كان عمر – رضى الله عنه – قد اقترح الحجاب قبل نزول الأمر به ، فذلك لغيرته على النساء ، ولمعرفته بهن ..

ومن كلامه : النساء عورة ، فاستروا عوراتِكم بالبيوت ، وداوُوا ضعفَهُنّ بالسكوت .

وأَكْثِرُوا لهن من قول : « لا » ، فإن نعم تُضْرِيهِنّ على المسألة[2]

نظرته إلى الدنيا :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف الدنيا على حقيقتها فراح يَبصّر المؤمنين بما يراه منها ؛ فيقول فى خطبة له :

« إنما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرم[3]، وأجل مُنْتَقَص ، وبلاغ إلى دارٍ غيرِها ، وسَيْرٌ إلى

---

(١) خفقه : ضربه . والدِّرة : السوط . والنُّسك : التزهد والعبادة .

(٢) تضريهن على المسألة : تولعهن بالسؤال ، فتكثر طلباتهن ، ولا يتوقفن عند حد كما نرى الآن !

(٣) مخترم : مستأصل من جذوره .

الموتِ ليس فيه تعريج[1]، فرحم الله امرأً فكّر فى أمره ، ونصحَ لنفسِه ، وراقب ربّه ، واستقال ذنبه »[2].

رأيه فى الجار الغنى الذى لا يغدر جاره :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف للجيرة حقها فتراه يقول :

بئس الجارُ الغنيّ ، يأخذك بما لا يُعطيك من نفسه ، فإن أبيت لم يعذِرك .

سقوط الهمة :

وكان عمر – رضى الله عنه – عالى الهمة ، ومن أجل هذا نراه يقول :

لا تَصْغُرَن هِمَمُكم : فإنى لم أر شيئا أقعدَ بالرجل من سقوط همته ! » .

التقشف والخصب :

سئل الأحنف بن قيس : أى الطعام أحبّ إليك ؟

فقال : الزُّبد والكمأة[3].

فقال عمر : ما هما بأحب الطعام إليه ، ولكنه يحب الخصب للمسلمين .

العجائز وخطرهن :

وكان لا يحب أن يرى فى بيته عجوزا لا يعرفها .. ففى وجودها تسميم للأفكار .. إنه يقول :

إنى لأن أرى فى بيتى شيطاناً أَحبُّ إلىّ من أن أرى فيه عجوزاً لا أعرفها[4].

أهم ما ينبغى أن نتعلمه :

إن إهمال اللغة العربية إهمال لوجودنا وكياننا .. إن أول كلمة وردت فى القرآن الكريم .. « اقرأ » .. وأول ما ينبغى أن نقرأه هو قرآننا .. فعلينا أن نقبل على تعلم

---

(١) ليس فيه تعريج : يقال : عرّج بالمكان تعريجا : نزل به . أى ليس فى إستطاعة أحد أن يتخلف هنا أو هناك عن النهاية المحتومة .

(٢) استقال ذنبه ! إستغفر ربه ، وطلب من الله أن يقيله منه .

(٣) الكمأ : فُطر من الفصيلة الكمئية ، وهى أرضية ، تجنى وتؤكل مطبوخة .

(٤) ونحن نضرب المثل بعجائز الفرح ولزلزتهن !

لغتنا العربية كما نقبل على تعلم القرآن الكريم .. وإلى جانبها نحيط علما بالسنن والفرائض حتى نقوم بما يجب علينا نحو أنفسنا ومجتمعنا ، ونلم بتوجيهات ربنا ونبينا .

إن عمر – رضى الله عنه – يدرك تماما أثر ذلك فى حياتنا فيقول موجها ومرشدا :

« تعلموا اللحن[1]، والسنن ، والفرائض ، كما تَعَلّمون القرآن » .

أين عمر لأولئك الذين لا يسيرون إلا متبوعين ؟!:

وكان عمر – رضى الله عنه – لا يرضى لأحد من المسلمين أن يفتن أو يذل ، وكان يخاف على المسلمين من تلبيس إبليس اللعين .

نظر إلى أُبَىّ بن كعب[2]، وقد تبعه قوم ، فعلاه بالدِّرّة وقال : إنها فِتْنة للمتبوع ، مَذَلّة للتابع .

رضى الله عنه كم سد من ثغرات ، وكم أغلق للفتنة من أبواب !



---

(١) اللحن : اللغة والنحو .

(٢) أُبى بن كعب سيد القراء شهد بدرا والمشاهد كلها ، وكان أحد كتاب الرسول ﷺ ومن أصحاب الفتيا .
والدِّرّة : عصا عمر . والسوط يُضرب به .

عمر الموجّه لعماله

من رسائله التوجيهية :

قال الراوى : وكان عمر - رضى الله عنه - يوجه الولاة إلى أساليب الحكم ، ويُضَمّن رسائله إليهم كثيرا من الأسس والمبادىء التى لا غنى للحاكم عنها :

كتب إلى أبى موسى يقول :

أما بعد فإن للناس نَفْرةً عن سُلْطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياءُ مَجهولة ، وضغائنُ مَحمولة ، وأهواء مُتّبعةٌ ، ودُنْيا مؤثَرة ؛ فأقِم الحدودَ ولو ساعةً من نهار ، فإن عرض لك أمران ، أحدهما لله ، والآخر للدنيا فآثر نصيبَك من الآخرة ؛ فإن الدنيا تَنْفَدُ والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل !

وأخِف الفُسّاق ، واجعلهم يداً يداً ، ورِجْلاً رجلا[1] وإذا كانت بين القبائل نائرة[2] ، ودعَوْا : يا لَفُلانٍ ، فإنما تلك النجوى من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يَفِيئوا إلى الله ، وتكون دعواهم إلى الله ، وإلى الإسلام . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أن ضبة تدعو : يا لَضَبّة !! وإنى والله ما أعلم أن ضبةَ ساق الله بها خيراً قط ، ولا منع بها شرًّا قط ، فإذا جاءك كتابى هذا ، فأنهكهم[3] عقوبة ؛ حتى يَفْرَقوا[4] إن لم يفقهوا .

وعُدْ مَرْضى المسلمين ، واشهد جنائزَهم ، وافتح بابك ، وباشر أمرَهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حِملا .

وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنه فشا لك ولأهل بلدك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلُها .

عمر يتمنى مع الذين يتمنون :

وكان - رضى الله عنه - يشارك الرعية آمالها وآلامها .

---

(١) المراد : قيد أيديهم وأرجلهم .

(٢) نائرة : يقال : نأرت فى الناس نائرة : هاجت هائجة .

(٣) بالغ فى عقوبتهم .

(٤) يخافوا ويزدجروا ويرتدعوا .

مرّ – رضى الله عنه – بقوم يتمنّون ، فلما رأوه سكتوا ..

فقال : فيم كنتم ؟

قالوا : كنا نتمنى .

قال : تمنّوا ، وأنا أتمنى معكم !

قالوا : فتمنَّ .

قال : أتمنى ملء هذا المسجد مثل أبى عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى حذيفة ، إن سالماً كان شديد الحب لله ، لو لم يخفِ اللهَ لم يعصه .

وقال رسول الله ﷺ : « **لكل أمةٍ أمين ، وأمين هذه الأمة ابو عبيدة الجراح**[1].

مما يحببه فى الحياة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يرى فى حياته جدوى وهدفا يحققه وينال .. إنه يقول :

لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالسَ أقواماً ينتقون أحسن الحديث كما تنتقى أطايب الثمر لم أبالِ أن أكون قدمِتّ .

بين سعد وعمر :

ويدور بينه وبين سعد – رضى الله عنهما – حوار ...

يقول سعد له : – حين شاطره ماله – :

لقد هممت ...

قال عمر : لتدعوَ الله علىّ ؟

قال : نعم .

قال : إذن لا تجدنى بدعاء ربى شقيا .

وكان سعد يسمى المستجاب الدعوة[2].

---

(١) الرواية كما جاءت فى صحيح البخارى : « لكل أمة أمين ، وأميننا – أيتها الأمة – أبو عبيدة الجراح » .

(٢) هو سعد بن أبى وقاص ، أول من رمى بسهم فى الإسلام ، وقائد من قواد الفتح فى فارس ، ولّى الكوفة فى عهد عمر .

الأولاد صغاراً وكباراً :

وكان لعمر - رضى الله عنه - رأيه فى الأطفال صغارا وحين يكبرون .. إنه يقول فى ولد له صغير :

ريحانة أشَمُّها ، وعن قريب ولدبارٌ ، أو عدوّ حاضر !

لكل شىء شرف :

ويقول - رضى الله عنه - لكل شىء شرف ، وشرف المعروف تعجيله .

ثلاثة لا يحرم من أعطيهن :

قال - رضى الله عنه - :

من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى :

﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] .

ومن أعطِى الشكر لم يحرم الزيادة ، لقوله جلّ اسمه :

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [إبراهيم : ٧] .

ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول لقوله تعالى :

﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ﴾ [نوح : ١٠] .

أغلى الوصايا :

وكان عمر - رضى الله عنه - يعرف جيدا أثر القرآن والعلم فى حياة الأمة الإسلامية فراح يعظ المسلمين قائلا :

كونوا أوعيةَ[1] الكتاب ، وينابيعَ العِلم ، واسألوا الله رزق يوم بيوم .

الرجال ثلاثة :

وكان عمر - رضى الله عنه - كثيرا ما يصنف الرجال تبعا لموقفهم من الأمور فيقول :

الرجال ثلاثة :

---

(١) الأوعية : جمع وعاء والمراد بالكتاب القرآن الكريم كتاب الله . والمطلوب حفظه فى صدورهم .

١ – رجل ينظرُ فى الأمورِ قبل أن تقعَ فيصدِرُها مصدرها .
٢ – ورجل متوكل لا ينظر ، فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى ، وقَبِل قَوْلَهم .
٣ – ورجل حائرٌ بائر[1] لا يأتمر رَشَدا ، ولا يُطِيعُ مُرشِدًا .

ستر الله على المسلمين :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصاً على سمعة المسلمين ويكره أن تُهتَك سُتُورهم !

كان شُرَحْبيل بن السِّمط[2] على جيش لعمر – رضى الله عنه – فقال : إنكم قد نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب ، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نطهِّره[3]!

فبلغ ذلك عمر – رضى الله عنه – فقال :

لا أُمَّ لك ! تأمر قوماً ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم ؟!

لا أدرى نصف العلم :

وكان عمر – رضى الله عنه – حريصا على جودة التثبت فى العلم ، وكثرة الطلب قبل الفتوى ، ولا عليه إن قال فيما لا يعلم لا أدرى !

إنه يقول : من قال لا أدرى عندما لا يدرى ، فقد أحرز نصف العام ؛ لأن الذى له على نفسه هذه القوة ، فقد دلنا على جودة التثبت ، وكثرة الطلب ، وقوة المُنَّة[4]

وصية إلى الخليفة بعده :

وكما يوصى الأب الحنون بأولاده مَن بعده ، كذلك فعل عمر الشفوق على رعيته فراح يوصى مَنْ بَعده قائلا :

---

(١) بائر : هالك .
(٢) صحابى شهد القادسية ، وفتح مدينة حِمص وسكنها . مات سنة ٤٠ . الإصابة ٣/١٩٩ .
(٣) من شرب أو زنى ، وارتكب ما يوجب عليه الحد . وقوله : فليأتنا حتى نطهره : أى نقيم عليه الحد .
(٤) المنة : بضم الميم : القوة . يقال : ليس لقلبه مُنّة ، وجمعها مُنَن .

التقوى هى الأساس :

● أوصيك بتقوى الله وحدَه لا شريكَ له .

المهاجرون الأولون :

● وأوصيك بالمهاجرين الأوّلين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم[١].

الأنصار :

● وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم .

أهل الأمصار :

● وأوصيك بأهل الأمصار[٢] خيراً ، فإنهم رِدْءُ العدو وجُبَاةُ[٣] الفىء لا تحمل منهم إلا عن فضل منهم .

أهل البادية :

● وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشى[٤] أموالهم فتردها على فقرائهم .

أهل الذمة :

● وأوصيك بأهل الذمة خيرا أن تُقاتَل مِنْ ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدَّوْا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يدٍ وهم صاغرون .

الحذر من الله ومخافة مقته :

● وأوصيك بتقوى الله ، والحذر منه ، ومخافة مَقْتِه أن يطّلِع منك على رِيبة .

● وأوصيك أن تخشى الله فى الناس ، ولا تخشَ الناسَ فى الله .

---

(١) السابقة : السبق . يقال : له فى هذا الأمر سابقة : إذا سبق الناس إليه . والمهاجرون الأولون : سبقوا غيرهم إلى الهجرة فرارا بدينهم وكانت هجرتهم الأولى إلى الحبشة فلهم فضل السبق ، وتوالت الهجرات ، وكان آخرها الهجرة إلى المدينة . فلا هجرة بعد الفتح .

(٢) الأمصار : المدن المفتوحة جمع مصر . الرّدء : المعين والناصر . والقوة والعماد .

(٣) والفىء : الخراج . والجُباة : جمع جابٍ .

(٤) حواشى : جمع حاشية . وهى الطرف والجانب . والمراد هنا بالحواشى : صغار الإبل .

العدل فى الرعية :

● وأوصيك بالعدل فى الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيّهم على فقيرهم ، فإن فى ذلك بإذن الله سلامةً لقلبك ، وحطًّا لوزرك ، وخيراً فى عاقبةِ أمرك ، حتى تُفضِى فى ذلك إلى من يعرف سريرتَك ، ويحول بينَك وبين قلبك .

سياسة الناس وكيف تكون ؟ :

● وآمرك أن تشتدّ فى أمر الله ، وفى حدودِه ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذْك فى أحد الرأفة ، حتى تنتَهِكَ منه مثلَ جُرْمه[1].

● واجعلِ الناس عندك سواء ، لا تُبَالِى على من وجب الحق ، ولا تأخذْك فى الله لومةُ لائم ، وإياك والأثَرة ، والمحاباة فيما ولّاك الله مما أفاء على المؤمنين فتجورَ وتظلمَ ، وتحرمَ نفَسك من ذلك ما قد وسّعَه الله عليك .

العدل والعفة طريق الإيمان والرضوان :

● وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعِفّةً عما بُسِط لك اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك فيه الهوى اقترفت به غضبَ الله .

البعد عن ظلم أهل الذمة :

● وأوصيك ألا ترخّصَ لنفسك ولا لغيرها فى ظلم أهل الذمة .

إبليس رأس الخطيئة :

وقد أوصيتُك ، وخصصتُك ونصحتُك ، فابتغ بذلك وجهَ الله والدارَ الآخرة ، واخترت من دلالتك ما كنتُ دالًّا عليه نفسي وولدى ، فإن عملت بالذى وعظتك ، وانتهيت إلى الذى أمرتُك أخذت منه نصيباً وافراً ، وحظًّا وافياً ؛ وإن لم تقبل ذلك ، ولم يُهِمّك ، ولم تترك معاظمَ الأمور عند الذى يرضى به الله عنك يكن ذلك بك إنتقاصًا ، ورأيك فيه مدخولاً[2]؛ لأن الأهواءَ مشتركة ، ورأس الخطيئة إبليس داعٍ

---

(١) ذكر الجاحظ فى البيان والتبين ٢ : ٤٦ النص مختلفا فقال : مثل ما انتهك من حرمة الله . والمعنى واحد .

(٢) فاسدا مريبا .

إلى كل مهلَكَة ، وقد أضلَّ القُرون السالفة قبلك ، فأوردهم النارَ ، وبئس الوِرْدُ المورود !!

ولَبِئسَ الثمن أن يكون حظَّ امرىء موالاةً لعدو الله الداعى إلى معاصيه .

ركوب الحق وخوض الغمرات :

● ثم اركب الحق ، وخُضْ إليه الغَمَرات[1].

وكن واعظاً لنفسك .

إحسان معاملة جماعة المسلمين :

● وأناشدك اللهَ إلا ترحّمت على جماعةِ المسلمين ، وأجْلَلْت كبيرهم ، ورَحِمْت صغيرَهم ، ووقّرت عالمَهم ، ولا تضربْهم فيَذِلّوا ، ولا تستأثر عليهم بالفىء فتُغْضِبَهم ، ولا تحرمْهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تُجَمّرهم[2] فى البعوث فينقطعَ نسلهم .

ولا تجعل المال دُولَةً[3] بين الأغنياء منهم ، ولا تُغْلق بابك دونهم ، فيأكل قويُّهم ضعيفَهم .

هذه وصيتى إليك ، وأُشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

عمر يفكر لمن يكون الأمر بعده :

ولا يبارحه التفكير فيما يكون من بعده حتى طعن ..

رُوِى عن ابن عباس :

دخلت على عمر - رضى الله عنه - حين طعن قال :

فتنفس تنفُّساً عاليا ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما أخرج هذا منك إلا هَمٌّ .

قال : همٌّ شديد لهذا الأمر الذى لا أدرى لمن يكون بعدى !

قال : ثم قال : لعلك ترى صاحبَك لها . يعنى عليًّا .

---

(١) الغمرات : الشدائد .

(٢) التجمير : تركهم فى ثغور العدو . والمراد بالبعوث الجيوش التى يبعث بها الوالى لمحاربة الأعداء . أى لا تطل حبسهم عن الحدود بعيدا عن ذويهم وأهليهم .

(٣) متداولاً فى أيديهم ، ومقصورا عليهم وحدهم .

قلت : وما يمنعه فى قرابته من رسول الله ﷺ ، وسوابقه فى الخير ، ومناقبه فى الإسلام ؟

قال : ولكن فيه فكاهة .

قلت : فأين أنت وطلحة ؟

قال : الأكتع[1]؟ مازلت أعرف فيه بأوا[2] منذ أصيبت يده مع رسول الله ﷺ .

قلت : فأين أنت من الزبير ؟

قال : فوعقة لَقِس[3].

قلت : فأين أنت من سعد ؟

قال : صاحبُ قوسٍ وفرسٍ .

قلت : فأين أنت من عبد الرحمن ؟

قال : نعم المرءُ ذكرتَ ، ولكنه ضعيف ، ولا يقوم بهذا الأمر إلا القوى فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف ، والجوادُ فى غير سرَف ، والممسِك فى غير بُخل .

قلت : فأين أنت من عثمان ؟

قال : أوْهِ - ووضع يدَه اليمنى على مقدّمِ رأسه - إذًا والله ليحملَن من بنى معَيط على رقابِ الناس ، فكأنى قد نظرت إلى العربَ حتى تأتيه فتقتلَه !

والله لئن فعَل ليُفْعَلَنّ به ! ، والله لئن فعل ليُفعَلَنّ به !

ثم قال : أما آنّ أحراهم - إن وَلِيَهم - أن يحملهم على كتاب الله وسنّة نبيهم صاحُبك - يعنى عليا - رضى الله عنه .

وقال - رضى الله عنه - اعتبروا عزمَه بحميته ، وحزمه بمتاع بيته .

توجيه المسلمين :

وكان عمر - رضى الله عنه - لا يترك فرصة للتوجيه كلما سنحت ..

● سمع رجلا يقول :

---

(١) الأكتع : الأشل . وذلك لأن يده شلت فى غزوة أحد وهو يتلقى بها السهام .

(٢) البأو : الكبر .

(٣) وَعِقَة : ضيق الصدر سريع الغضب . واللَّقِس : الحريص .

اللهمّ إنى أعوذ بك من الفتن !

فقال : لقد استعذت مما تسأله ، المالُ والولَدُ فتنة . ولكن قل يا لُكَع[1]: اللهم إنى أعوذ بك من مُضِلّات الفتن .

● وقيل له : جزاك الله عن الإسلام خيرا فقال :

بل جزى الله الإسلام عنى خيرا .

● وقال لرجل أراد طلاق امرأته : لِمَ تُطَلِّقُها ؟

قال : لأنى لا أحبها !

فقال له : أَكُلّ البيوت بُنِيَتْ على الحُبّ ؟ فأين الرعاية والتّذمُّم والوفاء ؟

ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان ! :

ويسلط عمر – رضى الله عنه – الأضواء على خصال ثلاث لابد منها للمؤمن فيقول :

ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان :

١ – حِلْمٌ يردّ به جهلَ الجاهل .

٢ – وورع يحجزه عن المحارم .

٣ – وخلق يدارى به الناس ..

حرمة البيوت :

وكان عمر – رضى الله عنه – يعرف للناس حقَّهم فى بيوتهم ، ويُلفت الأنظار إلى وجوب الاستئذان فيقول :

من ملأ عينيه من قاعة بيت قبل أن يؤذنَ له فقد فسَق ، ومن اطّلَع على قوم فى منازلهم بغير إذنهم فليفقئوا عينه[2].

ترف الوُلاة وتنعمهم :

وكان عمر – رضى الله عنه – لا يترك مناسبة تمر إلا ويُلفت نظر الولاة فيها

(١) اللُكَع : اللئيم ، ويقال فى النداء : يا لُكع ، وللاثنين : يا ذوى لكع ولا ينون إلا إذا كان علما ، لأنه معدول من ألكع . والأحمق ، والعَيِى ، والصبىّ الصغير كل أولئك لكع .

(٢) فقأ عينه : اقتلعها : والمقصود : الترهيب والتخويف !

إلى واجبهم تجاه ذوى الحاجات وأن يكون ذلك شغلهم الشاغل قبل أن يشتغلوا بمظاهر الأبهة !

قدم معاوية عليه وهو أبضُّ الناس[1]، فضرب عمر – رضى الله عنه – بيده على عضده ، فأقلع عن مثل الشراب فى لونه[2]، أو مثل الشِّراك[3]، فقال :

إن هذا – والله – لتشاغلك بالحمامات ، وذوو الحاجات تَقَطَّع أنفُسُهم حسراتٍ على بابك .

والسابقون السابقون أولئك المقربون :

وعلى باب عمر يتعلم الجميع أن الفضل للسابقين على اللاحقين أيا كانوا ..

فقد حَضَر باب عمر – رضى الله عنه – سُهَيْل بن عَمْرو[4]، وعُيَيْنة بن حُصَين[5]، والأقرع بن حابس[6]، فخرج الآذن فقال : أين صُهَيب[7]؟ أين عمار ؟ أين سَلْمان ؟ فتَمَعَّرتْ وجوه القوم[8]!

فقال سُهَيل : لم تتَمَعّر وجوهُكم ؟ دُعوا ودُعِينا ، فأسرعوا وأبطأنا !!

ولَئِنْ حسدتموهم على باب عمر ، لَما أَعَدّ اللهُ لهم فى الآخرة أكثر !!

قراءة القرآن والعمل به :

وكان عمر – رضى الله عنه – يوصى من حوله بقراءة القرآن والعمل به ، مبينا ما له وما عليه فى خطبه ..

---

(١) أبض : أكثر امتلاء ونضارة .

(٢) أقلع : انجلى . وذلك كما نقول فى لغتنا « هرب دمه » .

(٣) والشِّراك : سيور النعل من الجلد .

(٤) سُهَيْل بن عمرو أحد المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ومات فى عهد عثمان . الإصابة ٥ : ٥٦ .

(٥) عُيَيْنة بن حُصَين : أحد المؤلفة قلوبهم . كان الرسول ﷺ يلقبه بالأحمق المطاع . ارتدّ ثم عاد إلى الإسلام ، ومات فى عهد عثمان .

(٦) الأقرع بن حابس : من المؤلفة قلوبهم ، شهد غزوة حنين والطائف ومات مجاهدا فى خراسان . الإصابة ١٠ : ٥٨ .

(٧) صهيب بن سنان الرومى ، عربى الأصل أسره الروم صغيرا ، أحد من عُذبوا فى الإسلام . مات سنة ٣٨ وعمره سبعون سنة . وسلمان وعمار معروفان .

(٨) تمعّرت : تغيرت من الغيظ .

يقول – رضى الله عنه – فى إحدى خطبه :

اقرءوا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

إنه لن يبلغ من حق ذى حقٍّ أن يطاع فى معصية الله ! إنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، إذا استغنيت عففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَقَرّمَ[1] البهيمة الأعرابية القَضْم[2]، لا الخضم .

قراءة القرآن ، وقول الحق ، وصلاح الحكم والمال :

وتصبح خطب عمر – رضى الله عنه – مدرسة يتلقى فيها المسلمون دروس الحياة والإيمان ..

قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

● يأيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرَفوا به ، واعمَلُوا به تكونوا من أهله ؛ فإنه لن يبلغ ذو حقٍّ فى حقه أن يُطَاعَ فى معصية الله .

● ألا وإنّه لن يُبَعِّدَ من رزقٍ ، ولن يُقَرِّب من أجل أن يقولَ المرءُ حقًّا ، وأن يذكّر بعظيم .

● ألا وإنى ما وجدت صلاحَ ما ولّانى الله إلا بثلاث :

أداءِ الأمانة ، والأَخذ بالقوة ، والحكِم بما أنزل الله .

● ألا وإنى ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذَ من حق ، ويُعطَى فى حق ، ويُمْنَعَ من باطل .

● ألا وإنما أنا فى مالكم كوالى اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف تَقَرُّمَ البهيمة الأعرابية .

وانظر فى أى نصابٍ تضع ولدك ؟ فإن العرق دسّاس[3].

● وقال : إياكم وهذه المجازر ، فإن لها ضراوة كضراوة الخمر[4].

---

(١) التقرم : الأكل القليل . القاموس .

(٢) القضم : تناول الطعام بطرف الأسنان . والخضم : بالأضراس .

(٣) النصاب : الموضع والأصل ، والمراد التخيّر للنطف ، فإن العرق دساس .

(٤) المراد بالضراوة : التعود عليها .

● وقال : عجبت لمن يحسن المعاريض ، كيف يكذب[1]!

● وقال : الناس طالبان :

«أ» فطالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره ؛ فإنه ربما أدرك الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها .

وربما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها .

«ب» وطالب يطلب الآخرة ، فإن رأيتم طالب الآخرة فنافسوه ! .

● وقال : استعبروا العيونَ بالتذكر !

● وقال : الطمع فقر[2]، واليأس غِنًى[3]، وفى العزلة راحةٌ من خليط السوء .

قراءة القرآن ابتغاء ما عند الله ! :

وعمر – رضى الله عنه – لا يدع فرصة تمر دون أن يوجه أنظار المسلمين إلى قراءة القرآن ابتغاء ما عند الله ، وإظهار الخير ، وزجر النفوس الأمارة بالسوء ، وترك الخطيئة .. إنه يقول فى إحدى خطبه :

أيها الناس ، إنه أتى علىّ حينٌ وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنما يريد اللهَ وما عنده .

ألا وقد خُيِّل إلىّ أخيراً أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الله .

ألا فأريدوا اللهَ بقرآنكم ، وأريدوه بأعمالهم ، فإنما كنا نعرفكم إذ الوَحْى ينزل ، وإذِ النبى ﷺ بين أظهرنا ، فقد رفع الوحي : وذهب النبى ﷺ فإنما أعرفكم بما أقول لكم .

ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننَّا به خيراً ، وأثنينا به عليه .

ومن أظهر لنا شرا ضننّا به شرًّا ، وأبغضنا عليه .

فَزَعُوا[4] هذه النفوس عن شهواتها ؛ فإنها طلّاعة ، تنزع إلى شر غاية .

---

(1) وقريب منه : إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب .

(2) استعبروا : استنزلوا منها الدموع .

(3) فمن يئس من شيء استغنى عنه .

(4) زعوا : ازجروها ، وادفعوها وامنعوها .

وإن الحقّ ثقيل مرىء[1].

وإن الباطل خفيف وبىء[2].

ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة .

ورُب شهوةٍ ساعةٍ أورثت حزنًا دائما .

رضى الله عنه كم وجّه ، وكم عَلّم !!

---

(١) مرىء : خفيف سهل الهضم .

(٢) وبىء : مهلك .

عمـر ورعايـة الجوانـب النفسيـة

رعاية الجوانب النفسية عند التخاطب :

قال الراوى : وكان عمر – رضى الله عنه – يراعى الجوانب النفسية وما للأسماء والألقاب والكُنى من إيحاء فى النفوس فيقول :

« أشيعوا الكُنَى ؛ فإنها مَنْبَهة »[1].

علاقة المخلوق بالخالق :

وكان – رضى الله عنه – يعمل على توطيد العلاقة بين المخلوق والخالق لما يترتب عليها من آثار حميدة فى الدنيا والآخرة فيقول لعبد الله – رضى الله عنه – فى أحد كتبه إليه :

« أما بعد ؛ فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، فعليك بتقوى الله ؛ فإنه لا ثواب لمن لا نِيَّةَ له ، ولا مالَ لمن لا رفق له . ولا جديدَ لمن لا خَلَق له[2].

نظرة فى أعماق النفوس :

ويدرك عمر – رضى الله عنه – ما يتعرض له صاحب النعمة من حسد الحاسدين وغمز الغامزين فيقول :

« ما كانت على أحدٍ نعمةٌ إلا وكان له حاسد ، ولو كان الرجل أقومَ من القِدح لوجد له غامزا »[3].

نظرته المستقبلية :

ويَبَصِّر المسلمين بما يجعلهم قادرين على مواجهة المحن ، وتخطى الشدائد ، واجتياز

(١) الكنى : جمع كنية ، وهى الاسم المبدوء بأب أو أم والعرب يعدون المخاطبة بها : تشريفا وتكريما . منبهة : مشرفة ومعلاة من النباهة .

(٢) الخلق : البالى من الثياب .

(٣) القِدْح : القناة التى يركب فيها النصل . والغامز : الطاعن .

العقبات في مستقبل حياتهم فيقول : « تمعددوا[1]، واخشوشنوا ، واقطعوا الرُّكُب[2]، وانزوا على الخيل نزوا ، واحفُوا وانتعِلوا ؛ فإنكم لا تدرون متى الجَفْلة »[3].

خبرة تجارية :

ويضع عمر – رضي الله عنه – خبرته بين يدي المشتغلين بالتجارة فيقول : « إذا اشتريتَ بعيرا فاشتره ضخمًا ؛ فإنه إن أخطأك خيرُه لم يُخْطِئك سُوقٌ » .

خبير بأمور النساء عليم :

وكان لعمر رضي الله عنه رأيه في النساء فنراه يقول :

« المرأة البكر تحتاج إلى خِدْمة كالبُرّة تطحنها وتعجنها ، وتخبزها ثم تأكلها » .

« والثيِّب عُجَالة الراكب[4]: تَمْرٌ وسَويق » .

ثم يقول : « عَوِّدوا نساءكم « لا » فإن « نعم » تُضْرِيهن على المسألة »[5].

البعد عن اللف والدوران :

ويلفت عمر الأنظار إلى الصراحة والصدق عندما سأل رجلا عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : رضي الله عنه – « قد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم . إذا سئل أحدكُم عن شيءٍ لا يعلمه ، فليقُلْ : لا أدرى .

بعد النظر :

ويعتمد عمر على فهمه للأمور ، وإدراكه للحقائق بعقله وقلبه فيقول :

« إذا لم أعلمْ ما لم أرَ ، فلا علمت ما رأيت » .

دستور للحكام لسلامة الدين والدنيا :

ويضع عمر – رضي الله عنه – الأسس العادلة لتنظيم العلاقة بين الحاكم ورعيته فيكتب

---

(١) تمعددوا : تباعدوا ، وشرحها ابن أبي الحديد بالخشونة وغلظ العيش تشبُّها بمعد بن عدنان . وفي النهاية : تمعززوا : من العزة والصلابة في الدين .

(٢) الرُّكُب : بضم الراء والكاف : جمع ركاب . والمراد أن يتدربوا على الوثب فوق الخيل من غير ركاب .

(٣) الجفلة : الشدة واضطراب الأمر .

(٤) عُجَالة الراكب : ما يحمله المسافر معه على عجل من تمر أو سويق ، أو نحوه ، مما خفّ حمله .

(٥) تُضْرِيهن : تولعهن بالسؤال فلا حد لطلباتهن ، والاستجابة لهن على طول الخط تغريهن بما يعجز الرجل =

إلى معاوية :

« أما بعد ؛ فإنى لم آلك فى كتابى إلا خيراً[1].

● إياكَ والاحتجابَ دون الناس !

● وَأْذَن للضعيفِ ، وأدْنِه حتى يَنبسطَ لسانُه ، ويجترىء قلبه .

● وتعهّد الغريب ؛ فإنه إذا طال حَبْسُه ، وضاق إذْنُه ترك حَقّه ، وضعُفَ قلبُه ، وإنما أَقْوَى حقَّه مَنْ حبَسَه[2].

● واحرص على الصُّلْح بين الناس ما لَم يستَبِن لك القضاء .

● وإذا حضركَ الخصمان بالبيِّنة العادلة والأيمان القاطعةِ فأمضِ الحُكْم .

الخير فى تقوى الله :

ويأبى عمر – رضى الله عنه – إلا أن ينسب الفضل لأهله ويلفت الأنظار إلى ذلك ...

● قال له المغيرة ذات يوم :

أنا بخير ما أبقاك الله !

فقال : أنت بخير ما إتقيت الله !

● وكان إذا كتب لأهل الكوفة كتب : رأس العرب ، ورمح الله الأطول .

منهج للولاة :

ويضع عمر – رضى الله عنه – منهجا للولاة يسيرون عليه ودستوراً للدّعاة واضح المعالم ..

لما ولى عبد الله بن مسعود قال له :

يا بن مسعود ، اجلس للناس طرفى النهار ، واقرأ القرآن ، وحدّث عن السنة وصالح ما سمعت من نبيك محمد ﷺ .

= عن تليته فيسعدين ربهم .

(1) فى البيان والتبيين : 2/150 : الزم خمس خصال يسلم لك دينك ثم أكمل الرسالة .

(2) أقوى حقه : أضعفه . وفى البيان والتبيين : ضيّع حقه .

وإياك والقصصَ ، والتكلفَ ، وصلةَ الحديث ؛ فإذا انقطعت بك الأمور فاقطعها .

ولا تستنكف إذا سئلت عما لا تعلم أن تقول : لا أعلم .

وقل إذا علمت ، واصمت إذا جهلت ، وأقلِلْ الفُتْيا ، فإنك لم تُحطْ بالأمور علماً .

وأجب الدعوة ، ولا تقبل الهدية ، وليست بحرام ، ولكنى أخاف عليك القالة .

والسلام .

طريق الهلاك :

ويخطب عمر ، فيتناول ما ينفع المسلمين فى دنياهم وأخراهم ، ويضع للناس دستورا صحيا يقيهم الهلاك ويُعينهم على أداء واجبهم فيقول :

« إياكم والبِطْنة ؛ فإنها مكسلةٌ عن الصلاة ، مَفْسَدة للجسم ، مؤدية إلى السَّقَم .

وعليكم بالقصد فى قوتِكم ، فهو أبعد من السَّرَف ، وأصحّ للبدن ، وأقوى على العبادة .

وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه !

ميزان عادل :

وكل شىء عند عمر – رضى الله عنه – بميزان عادل والجزاء على قدر العمل ..

نظر – رضى الله عنه – إلى أعرابى يصلى صلاةً خفيفة ، فلما قضاها قال :

« اللهم زَوّجْنى الحورَ العين ! » .

فقال عمر : أسأت النقد ، وأعظمت الخِطْبة !

لزوم الحق :

وكان عمر – رضى الله عنه – يلزم الحق ولا يفارقه ، ويوصى به الوُلاة ..

كتب إلى معاوية يقول :

« الزم الحقَّ يُنْزِلْك الحقُّ منازِلَ أهلِ الحق يوم لا يُقْضَى إلا بالحق » !

رأيه فى التزوج :

وكان عمر – رضى الله عنه – يحض على الزواج ويرى أنه ليس هناك ما يمنع منه إلا عَجْزٌ أو فجور .. قال إبراهيم بن ميسرة[1]، قال لى طاوس[2]: لتنكحن أو لأقولن لك ما قاله عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لأبى الزوائد[3]:

« ما يمنعك من التزوج إلا عجز أو فجور » .

الملَق :

وكان عمر – رضى الله عنه – يكره الملَق ، ويعرف خطره وضرره ولا يرض أن يتملقه أحد ..

جلس رجل إلى عمر – رضى الله عنه – فأخذ من رأسه شيئا فسكت عنه ، ثم صنع به ذلك يوما آخر ، فأخذ بيده ، وقال : ما أراك أخذت شيئا .

فإذا هو كذلك !

فقال – رضى الله عنه – انظروا إلى هذا صنع بى مرارا !!

إذا أخذ أحدكم من رأس أخيه شيئا فليُرِه[4].

قال الحسن : نهاهم والله عن الملق !

لا يخلو صاحب النعمة من حاسد أو غامز :

ويدرك عمر – رضى الله عنه – ما يسود علاقات الناس من حسد الحاسدين وغمز الغامزين فيقول :

« ما كانت على أحدٍ نِعمةٌ إلّا وكان له حَاسِدٌ ، ولو كان الرجلُ أقْوَمَ من القِدح لوجدَ له غامزا »[5].

---

(١) إبراهيم بن ميسرة الطائفى : نزيل مكة ، ومن جلة التابعين ، ومن ثقات رواة الحديث توفى سنة ١٧٢ هـ تهذيب التهذيب ١ : ١٧٢ .

(٢) طاوس : هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الفارسى ، أحد أعلام التابعين . كان فقيها جليلا توفى سنة ١٠٤ هـ .

(٣) أبو الزوائد : أحد الصحابة ، لم يذكر اسمه ، رويت له أحاديث فى الطبرانى .

(٤) فى سيرة عمر لابن الجوزى أنه قال له بعد ذلك : إن الملق من الكذب .

(٥) القِدْحُ : قطعة من الخشب تعرّض قليلا وتسوى ، والقِدْح – أيضا – القناة التى يركب فيها النصْل ـ

مكاشفة ومصارحة للرعية :

وكان عمر يصارح الرعية ، ولا يترك فرصة للقيل والقال ، ولا يستأثر عليهم بشيء ..

بُعثَ إليه بُحَلل فقسمها ، فأصاب كلَّ رجل ثوبٌ ، فصعد المنبر وعليه حُلّة – والحُلّة ثوبان – ، فقال : أيها الناس ، ألا تسمعون ؟

فقال سلمان : لا نسمع .

قال : ولِمَ يا أبا عبدِ الله ؟!

قال : لأنك قسمت علينا ثوبًا ثوبًا وعليك حُلّة[1].

فقال : لا تعجَلْ يا أبا عبدِ اللهِ . يا عبدَ الله ؛ فلم يجبه أحد .

فقال : يا عبدَ الله بنَ عمر ، فقال :

لبيك يا أميرَ المؤمنين .

فقال : نَشَدْتُك اللهَ[2]. الثوبُ الذى اتَّزَرْتُ به أهو ثوبك[3]؟

قال : اللهم نعم .

فقال سلمان : أما الآن فقلْ نسْمَعْ .

لا حرمة للنائحة عنده ! :

وأُتِيَ عمر – رضى الله عنه – بنائحة قد تُلُتِلت[4]، فقال : أبعدها الله ! إنه لا حرمة لها ، ولا حقّ عندها ، ولا نفعَ معها !

إن اللهَ – عزّ وجَلّ – أمر بالصبْر ، وهى تنهى عنه ، ونَهى عن الجَزع وهى تأمر به ، تريقُ دمعتَها وتبكى شَجوَ[5] غيرها ، وتُحْزِن الحيّ ، وتؤذى الميت » .

غامزا : ساعياً به شراً ، وطاعنا فيه .

(١) الحلة ثوبان من جنس واحد .

(٢) ونشدتك الله وبه : ذكرتك به وسألتك .

(٣) اتزرت به : جعلته إزاراً ألفه على الجزء الأسفل .

(٤) التلتلة : السَّوق بعنف . الفائق ١ – ١٣٥ .

(٥) الشجو : الهم والحزن .

أشقى الناس من شقيت به رعيته :

ويحرص عمر - رضى الله عنه - فى كل المناسبات على توجيه وُلاته وعُماله بما يَعصمهم ويَقيهم الزلل ...

ففى كتاب له إلى أبى موسى :

فإياك - عبدَ الله - أن تكون بمنزلة البهيمة نزلت بوادٍ خصب ، فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمن ، وإنما حتفُها فى السِّمن !

واعلم أن العاملَ إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقيت به رعيته .

مواصفات لاختيار أحد عماله :

وكان لعمر - رضى الله عنه - رأيه فى إختيار الولاة والعمال ... قال يوما :

دُلّونى على رجلٍ أستعمله على أمرٍ قد دهمنى . فقالوا : كيف تريده ؟

قال : إذا كان فى القوم وليس أميَرهم كان كأنه أميُرهم ، وإذا كان أميَرهم كان كأنه رجل منهم !

قالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثى[1] .

قال : صدقتم . هُوَ لها .

إختيار البطانة :

وكان عمر - رضى الله عنه - حريصا على أن يختار الحاكم بطانته من أهل الإيمان ، ويأبى أن يستعين بغيرهم ..

ذُكِرَ له غلام حافظ من أهل الحيرة ، وقالوا : لو اتخذته كاتبا !

قال : لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين .

الناس على دين ملوكهم :

وكان عمر راعيا للأمانة ؛ فسارت رعيته على نهجه .. لما أُتِى بتاج كسرى وسواره جعل يقلبهما بعود فى يده ويقول :

---

(١) الربيع بن زياد . هو أحد الصحابة . وقيل : التابعين . استعمله عمر على البحرين . الإصابة . ٢ : ١٩٥ .

والله إن الذى أدى هذا الأمين !

فقال له رجل : « يا أميرَ المؤمنين ، أنت أمينُ الله ، يؤدون إليك ما أديتَ إلى الله ؛ فإذا رتعتَ رتعُوا[1].

من هم الشهداء ؟ :

وكان عمر – رضى الله عنه – يؤمن أن الأعمال بالنيات ولهذا راح يستعرض ألوان المقاتلين فيقول :

من الناس من يقاتل رياء وسُمعة .

ومنهم من يقاتل وهو ينوى الدنيا .

ومنهم من ألحمه القتال[2] فلم يجد بدّا !

ومنهم من يقاتل صابرا محتسبا ، أولئك هم الشهداء .

رضى الله عن عمر كثيرا ما كان يراعى الجوانب النفسية !!



---

(١) رتع : يقال : خرجنا نرتع : ننعم . وفى شرح أبى الحديد ٣ : ٩٥ : فقال علىّ : إنك عففت فعفوا

(٢) ألحمه القتال : وجد نفسه فى المعركة فلم يستطع خلاصا منها .

عمر وبيت المقدس

قال الراوى : فى عام ستة عشر من الهجرة كانت جيوش المسلمين تنساب فى الشام والعراق وفارس .

وراحت أقاليم الشام كلها تسلم الراية للفاتحين المسلمين إلا فلسطين بينما كان أبو عبيدة بن الجرّاح يحاصر بيت المقدس الذى رغب أهله أن يكون صاحب عقدهم عمر – رضى الله عنه – فقد ملأت سيرته الآفاق ، وسكنت إلى عدله النفوس ، واشتاقت إلى رؤيته العيون .

وفى جمع من الصحابة تحرك عمر ومعه مولاه «أسلم» . خرج ليتفقد أحوال المسلمين ، ويصافح أهل فلسطين ، ويمضى فى طريقه حتى يبلغ «أيْلة»[1].

وينتظر الناس موكب الأمير .. أمير المؤمنين ، وهم يحسبون أنه سيطلع عليهم فى زينته ، يحيط به جنده ورجاله يحسبونه قادما فى موكب كموكب هرقل .

ولما دنا عمر من « أيْلة » تنحى عن الطريق ، وتبعه غلامه ، فنزل فمشى قليلا ، ثم عاد فركب بعير غلامه ، وعلى رحله فرو مقلوب ، وأعطى غلامه مركبه .

فلما تلقاه أوائل الناس قالوا : أين أمير المؤمنين ؟

قال : أمامكم ، « يعنى نفسه » ، وذهبوا أمامهم ، فجاوزوه ، حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها . وقيل للمتلقّين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها ، فرجعوا إليه[2]، واجتمع الناس إلى رجل أصلع جسيم ، شديد الحمرة – رجل لا تقع العين منه إلا على الوقار والتواضع ، والشدة فى الحق ، والرأفة بالضعفاء . .

« اجتمع الأساقفة والرهبان يرون رجلا فى يده الدنيا ، ولكنها ليست فى قلبه ، يملكها ولا تملكه ، ويصرفها ولا تصرفه ، ويستعبدها ولا تستعبده ، وليس شيئا أن تكون زاهدا فى صومعة ، ولكن العظمة كلها أن تكون زاهدا والدنيا تحت قدميك »[3]. ودفع عمر قميصا له كرابيس[4]، قد انجاب مؤخره عن قعدته من طول

---

(١) كانت على خليج العقبة .
(٢) الطبرى حوادث سنة ١٧ .
(٣) الأوابد لعبد الوهاب عزام بك .
(٤) المفرد : كرباس ، وهو ثوب من القطن الأبيض .

السير إلى الأسقف وقال : اغسل هذا وارقعه ، فانطلق الأسقف بالقميص ورقعه ، وخاط له آخر ، فراح به إلى عمر ، فقال : ما هذا ؟

قال الأسقف : أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته . وأما هذا فكسوة لك مني ، فنظر عمر إليه ومسحه ، ثم لبس قميصه ، ورد عليهم ذلك القميص ، وقال : هذا أنشفهما للعرق !

وسار عمر حتى نزل الجابية[1] فى وسط الشام التى غلب عليها هرقل ، ولكنه دخلها كما دخل أيلة كما يقول ابن الجوزى : على جمل أورق ، تصطفق رجلاه بين شعبتى رحله ، بلا ركاب ، وِطاؤه كساء أبنجانى[2] ذو صوف هو وِطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، وحقيبة ممزقة ، أو شملة محشوة ليفا ، هى حقيبته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، وعليه قميص كرابيس » .

وجاء رجل من اليهود ، وكان اليهود يرقبون روح الله بأيدى العرب ، ويدعون الله أن يفرج كربهم ، ويذهب عنهم جبروت الروم بأيدى المسلمين .

قال اليهودى : السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء !

وأقبل وفد بيت المقدس إلى الجابية ، فصالحوا ، وكُتِب لهم عهد شهد فيه خالد ابن الوليد، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وأعطوا الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبانهم ، وألا يُكْرَه أحد على الدين ، أو يضارّ فى شيء . وسار عمر إلى بيت المقدس ، فإذا فرسه يعانى من وجع الحافر ، فأتوه ببرذون فركبه ، ومشى البرذون مشيته ، فأسرع وهز راكبه ، فرأى عمر فيها خيلاء ، فنزل وضرب وجهه ، وقال : لا أعلم من علمك هذا ؟! هذا من الخيلاء !

دخل عمر بيت المقدس لا مدمرا مخربا كما دخلها بختنصر ، ولا مضطهدا أهلها كما دخلها الرومان من قبل ، ولا مزهوا بفتحه كما دخلها هرقل قبل عشر سنين ، بعد أن غالب الفرس على الشام ؛ ولكن دخل رافعا لواء التوحيد والعدل ، والأخوة العامة ، والمرحمة الشاملة !

---

(١) قرية قريبة من دمشق .

(٢) نسبة إلى منبج ، وهو كساء من الصوف له خمل ، ولا علم له ، وهو من الثياب الغليظة .

دخل المدينة فسار إلى المسجد ليلا ومضى إلى محراب داود ، فصلى فيه ، وطلع الفجر بعد قليل ، ودوى الأذان فى أرجاء المدينة المقدسة لأول مرة – صيحة الحق فى أعقاب الباطل المهزوم ، ترفع تباشير الصبح فى أخريات الظلام ، وشهد الله ، لقد كانت فاتحة الخير والسلم والكرامة لبيت المقدس ومن فيه .

وقرأ عمر فى الركعة الأولى سورة (ص) ، وسجد حين قرأ آية السجدة ﴿ **وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب** ﴾ [الآية رقم ٢٤] .

ثم قرأ فى الركعة الثانية : « سورة بنى إسرائيل .. وفيها وصف ما أصابهم على يد البابليين .

ويأمر عمر بتطهير بيت المقدس وصيانته مما لحقه فى عهود سبقت ، ولم يفقد بيت المقدس رعاية الإسلام من بعدها إلا تسعين عاما غلب فيها أهل الصليب ، فأصاب البيت ما أصابه ، حتى استرجعه رجل من رجال المسلمين ، ملك يتشبه بعمر بن الخطاب فى الإشادة بعدل الإسلام ، ومرحمة الإسلام . رحم الله صلاح الدين يوسف ابن أيوب .

ترى هل ذكر اليهود فضل الإسلام ؟

وهل حفظوا يد عمر ؟

وهل اعترفوا برعاية المسلمين وحمايتهم إياهم أربعة عشر قرنا ؟!

لقد جاءوا من كل مكان يجزون الحسنة بالسيئة ، ويعينون الخطوب على الذين دفعوا عنهم الخطوب ، ويناصرون الأعداء على الذين أنقذوهم من الأعداء ، ويمالئون الذين دفنوا بيت المقدس على الذين رفعوا عنه التراب والرجس والهوان .

ترى ماذا ينقمون من المسلمين والعرب ؟

﴿ **يأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل** ﴾ [المائدة : ٥٩] .

عمـر ومكتبـة الإسكندريـة !

يقول المستشرق [illegible] ناصر الدين « المسيودينية » سابقا ، في كتابه « **محمد رسول الله** » :

ومن زمن بعيد ، وأعداء الإسلام يُلْحِقُون الأذى بأصحاب محمدٍ أيضا .

وقد ألّف بعضهم تلك الأسطورة الذائعة التي تقول بأن الخليفة عمر أحرق الإسكندرية .

ولم يكن غرضهم من ذلك إلا أن يجعلوا الناس تنسى العمل الوحشيّ الذي قام به الكاردينال « كسيمينيس » من إحراق دور الكتب البديعة التي كانت للمسلمين باسبانيا .

وهم في زعمهم هذا يبدون استخفافًا لا حدّ له بوقائع التّاريخ : ذلك أن مكاتب الإسكندرية قد خربت قبل مجيء الإسلام بقرون متعددة ؛ وأولى هذه المكاتب هي مكتبة « البرخيوم » التي كانت تحتوي على أربعمائة ألف مجلد . وقد أحرقت أثناء الحرب التي نشبت بين قيصر والإسكندريين !

وثاني المكاتب هي « مكتبة السرابيوم » التي ضمت في يوم من الأيام مائتي ألف مجلد ، أوصى بها لها أنطونيوس ، وقد نهبت هذه المكتبة ، وخربت تماما في عهد ثيودوزيوس .

وقد أنشأت هذه الخرافات السخيفة تتلاشى في أيامنا هذه ، على أننا نفضل ما فيها من تعصب صريح على تلك الدسائس الخبيثة التي يريد بعض الكتاب الذين لم يتخلصوا بعد من طبائع القرون الوسطى المسيحية ، أن يذيعوها – تحت ستار من العلم الاستشراقي الظاهري – في حق رجل من الرجال الذين يشرف بهم أكثر من غيرهم تاريخ الإنسانيّة نفسه !

عود على بدء
ودعوة إلى التأمل والفكر

وأراك تعود بفكرك بحثا عن المبتدأ بعد أن راعك الخبر !

هذه القرية ذات النخيل التى قامت فى الصحراء لا بل هى أم القرى .. لمن هذه القرية المباركة ؟

وكيف وسعت القريه الصغيرة أرجاء العالم ! وكيف عمّر العدد القليل نواحى العالم ؟ وكيف بلغ هؤلاء الضعفاء آمالهم ! وكيف أصبح التلاميذ الفقراء أساتذة العالم !

« ما الذى خلق من القلة كثرة ، ومن الضعف قوة ، ومن الذل عزا ، ومن الموت حياة وأخرج من الصحراء شرذمة كانت أعظم مثل فى العظمة والعدل والإحسان والعلم والحضارة ؟!

لن تجد أساطيل ولا جحافل ، ولا طيارات ، ولا غواصات ولا معامل ، ولا مصانع ولا شيئا من جَبروت الحضارة وزخرفها .. ولكن شيئا واحدا كان من وراء ذلك النصر .. إنه الإيمان المتين ، والخلق الصالح !

فهل آن الأوان بعد ذلك التعثر والتخبط أن نبدأ البداية الصحيحة ؟!

وهل آن الأوان أن نضع أقدامنا على الطريق .. طريق العزة والقوة والنصر والتقدم والرقى ؟!

إنه لا عزة بلا مبادىء وقيم ، ولا يصح إلا الصحيح ولا يبقى على الدهر إلا ما أرشد إليه الله ورسوله وصالحو المؤمنين .

ولن يرتفع لنا شأن إلا إذا عرفنا الطريق وبدأنا البداية الصحيحة وعبرنا إلى آمالنا على جسر من القيم !

وها هى ذى نماذج من تلك القيم الرفيعة سجلها شاعر النيل حافظ إبراهيم فى قصيدته الرائعة ودرته الثمينة الغالية ، لتبقى على الدهر يتناشدها الأبناء والآباء فتنبه عيون الغفاه وتصحح المسيرة إلى طريق الله !

---

* الأوابد : لعبد الوهاب عزام بتصرف .

أحلى السمر فى مناقب عمر ..



وقال الشـــاعر ..





القصيدة العمرية

أهداها إلى ساحة الفاروق
شاعر النيل حافظ إبراهيم

وأنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماعها فى ١٩١٨/٢/٨م
بمدرج وزارة المعارف المصرية

مَنَاقِبُ عُمَر

هَـٰذِى مناقِبُه فى عَهْد دولتِـه
للشاهدِين ولِلأعْقَابِ أحْكيها

فى كلِّ واحـدةٍ مِنْهُـنَّ نابِلـةٌ
مِنَ الطّبائعِ تغذُو نفسَ واعيها

لَعَـلَّ فى أُمَّـةِ الإسلامِ نابتَـةً
تَجْلُو لحاضِرِهَا مِرْآة ماضيهَا

حتّى ترَى بعضَ ما شادتْ أوائلها
مِنَ الصُّرُوحِ وماعاناهُ بانيهَا

وحَسْبُها أن تَرَى ما كان مِنْ عُمَرٍ
حتَّى يُنَبِّهَ منها عَيْنَ غافيها

حافظ إبراهيم

القصيدة العُمَرية

تمهيد :

يكفى الشعر والشاعر فخرا أنه يهدى هذه القصيدة إلى ساحة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

والمقام جليل ومن أجل هذا نرى الشاعر يستعين بالله على قضاء ما لعمر من حقوق عليه ، وأن يلهمه من شريف المعانى ما يوفيه حقه فيقول مفتتحا قصيدته :

عمر بن الخطاب

١) حَسْبُ القَوافِ وحَسْبِى حينَ أُلقِيها	أَنّى إلى ساحَة (الفارُوق) أُهْدِيها
٢) لاهُمَّ ! هَبْ لى بَيانًا أَسْتَعِينُ به	على قَضاءِ حُقُوقٍ نامَ قاضِيها
٣) قد نازَعَتْنِي نفْسى أنْ أُوَفِّيَها	وليس فى طَوْقٍ مثلى أنْ يُوَفِّيها
٤) فُمر سَرِيَّ المَعَانِي أنْ يُواتِيني	فيها فإنّى ضَعِيفُ الحالِ واهِيها

مقتل عُمَر !

وينتقل حافظ إبراهيم إلى تناول مقتل عمر – رضى الله عنه – بيد أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل ، وكان قد شكا إلى عمر – رضى الله عنه – ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة ، ورجاه فى تحقيقه فلم يجبه إلى ما طلب ، فأسرّها فى نفسه ، وتحيّن به الفرص حتى طعنه بخِنجره وهو قائم يصلى .

ويقال : إن مقتل عمر كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى ، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض .

ونرى حافظ إبراهيم يدعو على قاتله بالحرمان من رحمة الله كما حرم الأمة من خليفتها العادل فأصبحت دولة الإسلام حائرة بعده ..

---

(١) الفاروق : اسم لعمر بن الخطاب سماه الرسول ﷺ به لأنه فرّق بين الحق والباطل .
(٢) لاهُمَّ : مثل اللّهم فهُمَا بمعنًى .
(٣) وليس فى طوق مثلى : أى فى طاقته أو استطاعته .
(٤) سَرِىّ المعانى : رفيعها وشريفها . ويواتينى : يطيعنى لأعبر عمّا له علىّ من حقوق .

ويُقسم حافظ أن الموالى هم الذين كادوا لأمتنا واغتالوها ولولا الاستعانة بهم لما نعى على الأيام ناعيها ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط دولة بنى أمية ، وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

إنه يقول :

٥) مَوْلَى المُغيرة ! لا جادَتْكَ غادِيَة — مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ما جادَتْ غَوادِيها

٦) مَزَّقْتَ منه أديمًا حَشْوُهُ هِمَمٌ — فى ذمة اللهِ عاليها وما ضيها

٧) طَعَنْتَ خاصرَةَ (الفارُوق) مُنْتقِمًا — مِن الحنيفة فى أعلى مَجالِيها

٨) فأصْبحتْ دَوْلَةُ الإسلامِ حائِرةً — تَشْكُو الوَجِيعةَ لمّا ماتَ آسِيها

٩) مَضَى وخلَّفها كالطَّودِ راسِخَةً — وَزَانَ بالعَدْلِ والتَّقْوَى مَغانِيها

١٠) تَنْبُو المَعاوِلُ عنها وهى قَائِمةٌ — والهادِمُون كثيرٌ فى نواحيها

١١) حَتَّى إذا ما تَوَلَّاها مُهَدِّمُها — صاحَ الزَّوالُ بها فانْدَكَّ عالِيها

١٢ واهًا على دَوْلَةٍ ! بالأمْس قد مَلأتْ — جَوانِبَ الشّرق رَغْداً مِنْ أياديها

١٣) كَمْ ظَلَّلَتْها وحاطَتْها بأجْنِحَةٍ — عَنْ أعْيُنِ الدّهْرِ قد كانت تُواريها

١٤) من العناية قد ريشت قوادمها — ومن صميم التُّقى ريشت خوافيها

١٥) والله ما غالَها قِدْماً وَكادَ لها — وآجتَثَّ دَوْحَتها إلّا مَوالِيها

---

(٥) الغادية : السحابة تغدو مبكرة . والبيت دعاء عليه بالحرمان !

وجادتك : أمطرتك .

(٦) الأديم : الجلد والجسد .

(٧) الخاصرة . الخصر : وفى أعلى مجاليها . يقصد فى أوضح مظاهرها . والحنيفة دين الإسلام .

(٨) آسيها . الآسى الطبيب المداوى والجمع أساة .

(٩) الطَّود : الجبل العظيم . والمغانى : جمع مغنى والمراد بها المنازل .

(١٠) تنْبُو : ترتدّ وتكلّ دون أن تصيبها ، والمعاول : جمع مِعْول : آلة الهدم .

(١١) اندك : تهدّم وسقط .

(١٢) واهًا : كلمة تعجب . وتأتى للتلهف والتفجيع . رغداً : طيب عيش . والأيادى : النعم .

(١٣) كم ظللتها : أى كم ظللت هذه الدولة جوانب الشرق .

(١٤) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش . الواحدة قادمة والخوافى : صغار الريش وهى تحت القوادم . والمراد أنها كانت تظلل جوانب الشرق بأجنحة من العناية والتقوى .

(١٥) غالها : اغتالها وأهلكها . قدما : قديما . واجتث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة واسعة الظل . والجمع دوح وأدواح . مواليها : غير العرب . وقد نكبت الدول الإسلامية على أيديهم .

١٦) لو أنَّها فى صميم العُرْب قد بَقِيتْ لمَا نعاها على الأيام نـاعيها
١٧) يا لَيْتهُمْ سَمِعُوا ما قاله (عُمَرٌ) والرُّوحُ قد بَلَغتْ منه التـراقيا
١٨) لا تُكثِرُوا منْ مَوَالِيكُم فإنّ لهمْ مَطَامِعاً بَسَمَاتُ الضَّعْف تُخفيها

إسلام عمر

ويعود حافظ إلى القصة من البداية فيتناول إسلامه وآراءه الموفقه التى كان القرآن يؤيّدها وبعد أن كان أعدى أعداء الدين صار بنعمة الله للدين حصنا من أعاديه .

ويبسط قصة إسلامه مبينا أثره فى عزة الإسلام والمسلمين مبينا منزلته فى زمن المختار والصدّيق حيث كان موضع الشورى بمالَهُ من رأى سديد فيقول :

١٩) رأيتَ فى الدِّين آراءً مُوَفَّقَـةً فأنْـزَلَ اللهُ قُرآنـاً يُـزَكّيها
٢٠) وكنتَ أوّلَ مَنْ قَرّتْ بصُحْبَتِه عَيْـنُ الحَنيفَـة واجتازَتْ أمانيهـا
٢١) قد كنتَ أعْدَى أعاديها فصِرْتَ لها بنِعْمَـةِ اللهِ حِصْنـاً مـن أعـادِيها
٢٢) خَرَجْتَ تَبْغِى أذاهَا فى (محمَّدِها) وللحَنيفَـةِ جَبّـارٌ يُـواليها

---

(١٦) صميم العرب : العرب الخُلّص . نعاها : بكاها ورثاها .
(١٧) التراق : جمع ترقوة . وهى عظمة مشرفة بين ثُغرة النحر والعاتق . وهما ترقوتان . وبلغت الروح التراق : شارف الموت .
(١٨) مطامع : أطماع وتطلعات للنيل من الإسلام ودولته .
(١٩) يزكيها : يؤيدها ويعززها . ويشير حافظ بهذا البيت إلى ما كان من عمر - رضى الله عنه - حيث كان يرى الرأى فينزل القرآن موافقا لرأيه حتى بلغت موافقاته نيّفا وعشرين آية ، منها آية التحريم فى الخمر لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا» ومنها آية الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ، فقال : اللهم حرّم الدخول » فنزلت آية الاستئذان .
(٢٠) قرّت : نعمت . الحنيفة : الدين الإسلامى والملة المستقيمة .
(٢١) يشير حافظ - رحمه الله - إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبى ﷺ والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد الإسلام من إعزاز الإسلام بدخوله فيه .
(٢٢) يواليها : يناصرها ؛ فالله مولى المسلمين ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب فى إسلام عمر حيث خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبى ﷺ فلقيه نعيم بن عبد الله ، وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ؛ وعيّره بذلك. فرجع عمر إليها غاضبا ، وكان عندهما خبّاب بن الأرت ، ومعه صحيفة فيها « سورة طه » يقرئها إياها ، فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختفى خبّاب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة ، وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه إلى الإسلام ، فقصد إلى النبى ﷺ وأسلم على يديه .

٢٣) فلَم تكَدْ تسْمَعُ الآيات بالِغةً حتى آنكفأتْ تُناوى مَنْ يُناويها

٢٤) سَمِعْتَ (سُورَةَ طَه) من مُرَتِّلِها فَزَلْزَلَتْ نِيَّةً قد كنت تَنْويها

٢٥) وقُلْتَ فيها مقالًا لا يُطاوِلُه قَوْلُ المُحِبِّ الذى قد بات يُطْرِيها

٢٦) ويومَ أسْلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وارتفعَتْ عن كاهِلِ الدِّينِ أثْقالٌ يُعانيها

٢٧) وَصاحَ فيه (بِلَالٌ) صَيْحَةً خشعَتْ لها القُلوبُ ولَبَّتْ أمْرَ بارِيها

٢٨) فأنتَ فى زَمَنِ (المُختار) مُنْجِدُها وَأنتَ فى زَمَنِ (الصِّدِّيق) مُنْجيها

٢٩) كَمْ استراكَ رَسُولُ الله مُغْتَبِطاً بِحِكْمَةٍ لكَ عند الرَّأْى يُلْفيها

(عمر وبيعة أبى بكر)

ويتناول حافظ موقف عمر - رضى الله عنه - بعد المصطفى وما كان من مبايعتِهِ أبا بكر على الخلافة حيث أطفأ الفتنة وبايعه الجميع .

ويشير حافظ إلى الدهشة التى أصابت عمر حين علم بنبأ موت الرسول ﷺ وقد أنساه حبه له أنه بشر ، وكأنما لم يقرأ الآية التى تحدثت عن موته ، ولكن سرعان ما ثاب إليه رشده فانجابت الظلم ، وتذكر ما كان ناسيا .

ولقد كان يوم السقيفة يوما مشهودا كان عمر صاحبه حيث شيد أسس الخلافة لمَّا مدت الأوس كفًا لها ، وراحت الخزرج تباريها وظن كل فريق أن صاحبهم أولى بها فانبرى لهم عمر فارتد طامعهم عنها وتولى أبو بكر فمكن لها ووثق صِلاتِها وقوّاها .

(٢٣) انكفأت : انقلبت ورجعت . تناوى : تناوىء وعادى من يعاديها ويناونها .

(٢٤) نيةً : يريد النِّيَّة التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من خروجه لإيذاء الرسول ﷺ .

(٢٥) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه يُطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ فى مدحه .

(٢٦) كاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . والمراد أن المسلمين تخلصوا مما كانوا يعانونه .

(٢٧) بلال : هو ابن رباح ، وكان مولًى لأبى بكر الصديق - رضى الله عنه - اشتراه ثم أعتقه . وكان له خازنا ، ولرسول الله ﷺ مؤذنا ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعدما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٢٨) المختار : النبى ﷺ الذى اختاره الله ، والصديق : أبو بكر أول الخلفاء .

ويشير فى نهاية البيت إلى الخلاف الذى سبق مبايعة أبى بكر وحسم عمر يوم السقيفة ذلك الخلاف . ومناصرته لأبى بكر مدة خلافته .

(٢٩) كم استراك : كثيراً ما استرءاك ، أى : طلب رأيك .

إنه يقول :

٣٠) ومَوْقِفٍ لكَ بَعْدَ (المُصْطفى) افْترقتْ ... فيه الصحابةُ لمّا غابَ هاديها

٣١) بايَعْتَ فيه (أبا بَكْرٍ) فبايَعَه ... على الخِلافَةِ قاصيها ودانيها

٣٢) وأطْفَئتْ فتنةٌ لولاكَ لاستعرتْ ... بين القَبائلِ وانسابَتْ أفاعيها

٣٣) باتَ النبيُّ مُسَجًّى فى حَظِيرَتِه ... وأنتَ مُسْتَعِرُ الأَحْشاء داميها

٣٤) تهيمُ بين عَجيجِ الناسِ فى دَهَشٍ ... منْ نَبْأةٍ قد سَرى فى الأرضِ ساريها

٣٥) تَصيحُ مَنْ قالَ نفسُ المصطفى قُبِضَتْ ... عَلَوْتُ هامَتَه بالسّيفِ أبْريها

٣٦) أنْساكَ حُبُّكَ طَه أنّه بَشَرٌ ... يُجْرى عليه شئونَ الكَوْنِ مُجْريها

٣٧) وأنّه وارِدٌ لابدّ مَوْرِدَهُ ... مِنَ المَنِيَّةِ لا يُعْفيه ساقيها

٣٨) نَسيتَ فى حَقِّ طَه آيةً نَزَلَتْ ... وقد يُذَكَّر بالآياتِ ناسيها

٣٩) ذَهِلْتَ يوما فكانت فتنةٌ عَمَمٌ ... وثابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دياجيها

---

(٣٠) يشير إلى إختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى ﷺ وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى إختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها فى جمع الكلمة حين أسرع بمبايعة أبى بكر .

والمراد بغياب هاديها : موت النبى ﷺ .

(٣١) قاصيها ودانيها : البعيد والقريب . والمراد : الجميع .

(٣٢) استعرت : اتّقدت واشتعلت . والأفاعى : جمع أفعى . والمراد دُعاة الشر والفرقة .

(٣٣) مسجّى: مغطّى. الحظيرة : الموضع . وحظيرة القدس : الجنة . مستعر الأحشاء داميها : كناية عن الحزن والأسى العميق على فراق الرسول ﷺ .

(٣٤) تهيم : تمشى دون أن تدرى أين تذهب . وعجيج الناس : صياحهم وأصواتهم المرتفعة . والنبأة : الصوت الخفى . ويريد نبأ وفاته ﷺ ويشير بهذا البيت ٣٥ . ٣٦ . ٣٧ . ٣٨ . ٣٩ إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى ﷺ حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول : مات محمد حتى جاءهم أبو بكر فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : ◦ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل [١٤٤ : آل عمران] الآية . فعادوا إلى صوابهم .

(٣٥) الهامة : الرأس . أبريها : أخلصه منها .

(٣٦) مُجريها : مدبر الكون وهو الله سبحانه وتعالى .

(٣٧) المنية : الموت . ووارد : شارب .

(٣٨) الآية هى قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ... ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

(٣٩) فتنة عَمَمٌ : عامّة عمت الناس وشملتهم . وانجابت : انقشعت ، وزالت . والدياجى : الظلمات . والدُّجية : الظلمة وجمعها دُجى .

٤٠) فللسقيفةِ يومٌ أنتَ صاحبُه فيه الخِلافةُ قد شِيدَتْ أواسِيها
٤١) مَدَّتْ لها (الأوْسُ) كفًّا كَيْ تناوَلَها فمدَّت (الخزْرَجُ) الأيدى تُباريها
٤٢) وظَنَّ كُلُّ فريقٍ أنَّ صاحبَهُمْ أوْلَى بها وأتَى الشَّحْناءَ آتِيها
٤٣) حتَّى انبَرَيْتَ لهمْ فارتدَّ طامعُهُمْ عنها وأخَّى (أبو بَكْرٍ) أواخِيها

عمر وعلىّ

وتحت هذا العنوان يحدثنا الشاعر عن موقف على – رضى الله عنه – من بيعة الصديق ، وما كان من عمر تجاه عدم مبادرته إلى البيعة .

ثم ذكر أن كليهما كان ذا عزيمة قوية فى الحق ، وأنهما أجدر بالذكر والترحم كلما ذكر الذاكرون من كانوا متعبدين ومتنسكين .

٤٤) وقَوْلَةٍ (لِعَلِيٍّ) قالَها (عُمَرٌ) أكْرِمْ بسامِعِها أعْظِمْ بمُلْقِيها
٤٥) حَرَّقْتُ دارَكَ لا أُبْقِى عليكَ بها إنْ لم تُبايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فيها
٤٦) ما كان غيرُ (أبى حَفْصٍ) يَفُوهُ بها أمامَ فارسِ (عَدْنانٍ) وحامِيها
٤٧) كلاهُمَا فى سَبِيلِ الحَقِّ عَزْمَتُه لا تَنْثَنِى أو يكونَ الحَقُّ ثانِيها
٤٨) فاذْكُرْهُمَا وتَرَحَّمْ كُلَّما ذَكَرُوا أعاظِمًا أُلِّهُوا فى الكَوْنِ تَأْلِيها

(عمر وجبلة بن الأيهم)

وتحت هذا العنوان يتناول الشاعر قصة عمر – رضى الله عنه – مع فتى غسان جَبَلَةَ بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام الذى كان قد اعتنق الإسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطىء أعرابى ثوبَه ، فلطمه جَبَلَةُ لطمة هشمت أنفه ؛ فشكاه الأعرابى إلى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وهرب ، والتجأ إلى

---

(٤٠) السقيفة مكان إجتماعهم . الأواسى : جمع آسية . العمود .
(٤١) مدت لها : أى للخلافة وكذلك تناوَلَها . والأوس والخزرج قبيلتا الأنصار . وتباريها : تنازعها الغلبة على الخلافة .
(٤٢) صاحبهم : أى الذى نصبوه للخلافة منهم .
(٤٣) أخى أواخيها : أى مكّن لها ووثق صلاتها . والأواخى العُرا : والواحدة آخِية .
(٤٤) يشير بهذه الأبيات من ٤٤ إلى ٤٧ إلى تخلف على عن المبادرة بالبيعة لأبى بكر ، وحرص عمر على جمع الشمل عملا على وحدة الأمة .
(٤٨) التأليه : التعبيد ، وفلان يتألّه : أى يتعبد ، والتألّه : التنسك والتعبد .

القسطنطينيّة وتنصّر .

إنه يقول :

٤٩) كَمْ خفتَ فى الله مَضْعُوفاً دَعاك به ... وكَمْ أخفتَ قوياً يَنْثَنِي تِيها

٥٠) وفى حَديث فتى غسّانَ مَوْعظَةٌ ... لكلِّ ذى نُعَرةٍ يأبَى تَناسِيها

٥١) فما القَوِيُّ قَوِيًا رَغْمَ عِزَّتِه ... عند الخُصومَة (والفارُوقُ) قاضيها

٥٢) وما الضَّعِيفُ ضعيفًا بعدَ حُجَّتِه ... وإنْ تخاصَمَ وَالِيها وَراعِيها

(عمر وأبو سفيان)

وتحت هذا العنوان يتناول شاعرنا ما كان بين عُمَرَ وأبى سفيان حيث رُوِىَ أن معاوية – وهو على الشام – بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم (قيد) وكتب إلى أبيه أبى سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر ، فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر ، واحتبس المال لنفسه ، فلما قرأ عمرُ الكتاب قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به ، قال عمر : اطرحوه فى الأدهم ، أى : القيد حتى يأتى المال ، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال :

أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك ! قال : ولِمَ ؟

قال : جاء بالأدهم وحبس المال ، قال : أى والله . والخطّابُ لو كان لطرحه فيه .

إنه يقول :

---

(٤٩) المضعوف : الضعيف على غير قياس . فعله أضعف فهو مُضْعَف . ودعاك به : أى بالله . وتيها : كبرا .

(٥٠) فتى غسان : جبلة بن الأيهم . والنُّعَرة : (بضم النون المشددة وفتح العين وسكنت لضرورة الشعر) الخيلاء والكبر .

(٥١) يشير إلى قوله : والقوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه .

(٥٢) يشير إلى قوله : والضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له .

٥٣) وما أقلتَ (أبا سفيانَ) حينَ طَوَى عنكَ الهَدِيّةَ مُغتَزًا بِمُهديها

٥٤) لَم يُغنِ عنه وقد حاسبْته حَسَبٌ ولا (مُعاويةٌ) بالشام يَجبيها

٥٥) قيَّدتَ منه جَلِيلًا شابَ مَفرِقُه في عِزَّةٍ ليسَ من عِزٍّ يُدانيها

٥٦) قد نوَّهوا باسمه في جاهليّته وزادَه سيدُ الكونَيْنِ تنويها

٥٧) في فتحِ مكّةَ كانت دارُه حَرَمًا قد أمَّنَ اللهُ بعد البيت غاشيها

٥٨) وكلُّ ذلك لم يَشفعْ لَدَى (عُمَرٍ) في هَفوةٍ (لأبي سُفيانَ) يأتيها

٥٩) تاللهِ لو فَعَلَ (الخطّابُ) فَعْلَته لمَا ترخّصَ فيها أو يُجاريها

٦٠) فلا الحَسابةُ في حقٍّ يُجاملُها ولا القرابةُ في بُطْلٍ يُحابيها

٦١) وتِلْكَ قُوّةُ نفسٍ لو أرادَ بها شُمَّ الجِبالِ لما قرّتْ رَواسيها

(عمر وخالد بن الوليد)

وتحت هذا العنوان يتناول الشاعر ما كان من موقف عمر بن الخطاب تجاه خالد بن الوليد وعزله وهو فى قمة إنتصاره بعد أن خاض ثلاثين معركة فى بلاد الفرس والروم مبينا موقف خالد من أمر عمر ، والدوافع وراء هذا العزل مقررا أن الله نزه الفاروق عن النقائص والأغراض ، وأن خالدا كان يدرى أن صاحبه قد وجه النفس نحو الله توجيها .. إنه يقول :

٦٢) سَلْ قاهرَ الفُرْسِ والرُّومانِ هل شَفَعَتْ له الفتوحُ وهل أغنى تواليها

---

(٥٣) ما أقلت أبا سفيان : أى : ما صفحت عنه ولا تجاوزت عما فعله من إخفاء الهدية عنك .

(٥٤) الحسب : ما يعده المرء من مناقبه أو شرف آبائه .

(٥٥) البيت كناية عن أبى سفيان ، والمفرق وسط الرأس . يدانيها : يقرب منها .

(٥٦) نوّه به : أشاد ومدح وعظم . وسيد الكونين كناية عن رسول الله ﷺ .

(٥٧) غاشيها : داخلها . ويشير إلى قول الرسول ﷺ « من دخل البيت الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » . وقوله : بعد البيت : أى بعد البيت الحرام .

(٥٨) هفوة : سقطة وزلّة .

(٥٩) ترخّص فى الأمر : تساهل وتهاون . والخطّاب : أبو عمر . والشاعر يقول :
إن عمر لا يتساهل فى الحق حتى ولو كان الخطاب هو الذى هفا .

(٦٠) الحَسابة : الحَسَب ، والبُطْل : الباطل .

(٦١) شم الجبال : المرتفعة ، والرواسى : الثابتة الراسخة .

(٦٢) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد .

٦٣) غَزَا فأبلى وخَيْلُ اللهِ قد عُقدتْ بالْيُمنِ والنَّصرِ والبشرى نَوَاصِيها
٦٤) يَرمى الأعادِى بآراءٍ مُسدَّدَةٍ وبالفَوارسِ قد سالَتْ مَذاكِيها
٦٥) ما وَاقَعَ الرُّومَ إلّا فَرَّ قارِحُها ولا رَمَى الفُرْسَ إلاّ طاش راميها
٦٦) ولَم يَجُزْ بَلْدَةً إلا سَمِعتَ بها اللهُ أكبرُ تُذوى فى نواحيها
٦٧) عشْرُونَ مَوْقعَةً مَرّتْ مُحَجّلَةً منْ بَعْد عَشْرٍ بنانُ الفَتحِ تُحْصيها
٦٨) و(خالدٌ) فى سَبيل الله مُوقِدُها و(خالدٌ) فى سَبيل اللهِ صَاليها
٦٩) أتاهُ أمْرُ (أبى حفصٍ) فقبَله كما يَقبَلُ آى الله تاليها
٧٠) واستَقْبلَ العَزْلَ فى إبّانِ سَطْوَتِه ومَجْدِه مُسْتَرِيحَ النَّفْس هاديها
٧١) فاعْجبْ لسَيِّد مَخْزُومٍ وفارسِها يومَ النِّزال إذا نادَى مُناديها
٧٢) يَقُودُه حَبَشِيٌّ فى عمامَتِه ولا تُحرِّكُ مَخْزُومٌ عَوَالِيها
٧٣) ألْقى القِيادَ إلى الجَرّاحِ مُمْتثِلا وعِزّةُ النَّفْسِ لَم تُجْرَح حَواشيها
٧٤) وانضَمَّ للجُنْد يَمْشى تَحتَ رايته وبالحَياةِ إذا مالتْ يُفدّيها

---

(٦٣) النواصى جمع ناصية . وفى البيت اقتباس من الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير » والباء كما ترى داخلة على النواصى ولكن الشاعر أدخلها على اليُمْن « فقلب » والقلب سماعى فى اللغة .
(٦٤) كان خالد - رضى الله عنه - قائدا سديد الرأى إلى جانب خبرته الحربية . إنه يرمى أعداءه بآرائه المسددة وخططه الحربية الموفقة ، وبالجيوش الجرارة التى تسيل كالماء فتملأ الوادى . والمذاكى : الخيل التى كمل سنها واكتملت قوتها ، وانسيال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسيال الماء .
(٦٥) القارح : القوى المكتمل منهم . طاش : اضطرب وانحرف . ويقال : طاش السهم ونحوه عن الهدف ونحوه : مال وانحرف فلم يصبه . ويقال لم ضل ويخطىء الصواب : طاش سهمه .
(٦٦) تذوى : المسموع تُدوِّى (بتشديد الواو) أى : يرتفع الصوت بها .
(٦٧) مُحجّلة : مشرقة واضحة يتألق النصر فيها للعيان . والمراد : أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .
(٦٨) صاليها : أى مشعل نارها . أو مقاسى حرها وشدتها فى سبيل الله .
(٦٩) أمر أبى حفص : أمر عمر بعزله .
(٧٠) إبان وقت . والسطوة : البأس والشدة والانتصار . أى : جاءه العزل فى قمة النصر .
(٧١) مخزوم : قبيلة خالد . وسيد مخزوم : كناية عن خالد . والنزال : الحرب .
(٧٢) الحبشى : هو بلال بن رباح . فعندما استحيا أبو عبيدة من تنفيذ أمر عمر قام بلال بتنفيذ أمر عمر فى خالد فجرده بعمامته فهدها ووضعها فى رقبته ثم أعادها ثانية إلى رأسه وقال : نطيع أمراءنا ، ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .
(٧٣) ألقى القياد : أى ألقى فارس مخزوم القياد . وسلم خالد الزمام لأبى عبيدة ممتثلا أمر عمر عزيز النفس راضيا فما هو إلا جندى يضعه القائد حيث يرى .
(٧٤) لقد انضم خالد إلى الجيش جنديا محاربا تحت الراية الإسلامية يفديها بروحه ، ولم يتخل عن واجب له بعد العزل .

٧٥) وما عَزَله شُكُوكٌ فى خليقته ولا ارتَعَنى إمْرَةَ الجَرّاحِ تمويها

٧٦) فخالدٌ كان يَدرى أنّ صاحِبَه قد وَجَّهَ النفسَ نحو الله تَوجيها

٧٧) فما يُعالِجُ مِنْ قَوْلٍ ولا عَمَلٍ إلّا أرادَ بــه للنــاسِ تَــرْفِيها

٧٨) لذاكَ أَوْصَى بأولادٍ له (عُمَراً) لمّا دَعاهُ إلى الفِـرْدَوْس داعيها

٧٩) وما نَهَى (عُمَرٌ) فى يوم مَصْرَعه نِساءَ مَخزومٍ أنْ تَبكى بَـواكيها

٨٠) وقيل : خالَفْتَ يا (فارُوقُ) صاحِبَنا فيه وقد كان أُعْطَى القَوْسَ بـارِيها

٨١) فقال : خفْتُ افتِتانَ المُسْلِمين به وفتنَةُ النَّفْسِ أعيَتْ مَنْ يُـداويها

٨٢) هَبُوه أخطأَ فى تأويلِ مَقْصِده وأنّها سَقْطَةٌ فى عَيْـنِ نـاعيها

٨٣) فلَنْ تعيبَ حَصيفَ الرأى زَلّته حتّى يَعيبَ سُيُوفَ الهِنْد نـابيها

٨٤) تاللهِ لَمْ يَتّبِعْ فى (ابن الوَليدِ) هَوَى ولا شَفَى غُلّةً فى الصَّدْرِ يَطْويها

٨٥) لٰكِنّه قد رَأى رَأياً فأَتْبَعَه عَزيمَةً منه لم تُثْلَـمْ مَـواضيها

---

(٧٥) عزته : ألمت به . لقد حارب بنفس راضية وهو لا يشك لحظة فى نوايا أمير المؤمنين تجاهه ، وكان الرضا يغمر قلبه فلم ينفذ الأوامر تمويها وخداعا لأبى عبيدة بن الجراح الذى تولى القيادة بعده .

(٧٦) صاحبه : هو عمر بن الخطاب .

(٧٧) ترفيها : رفاهية ورغدا وحياة سعيدة . أى أن ما تم من عزل وتولية كان هدفه الصالح العام .

(٧٨) إلى الفردوس : الجنة : فهو ولا شك سيف الله المسلول وبه قمعت الردّة وفتحت بلاد رفرف عليها علم الإسلام ، وذكر اسم الله عاليا .

(٧٩) يشير إلى ما روى عن عمر عندما بلغه اجتماع نسوة بنى المغيرة يبكين على خالد اثر وفاته فقال : « وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة » نقع : يقال : نقع الجيبَ : شقه . واللقلقة : الصوت فى حركة واضطراب ويقال للنوائح : لقلقة .

(٨٠) صاحبا : يريد أبا بكر . « فيه » أى : فى خالد . أعطى القوس باريها : مثل يضرب فى تفويض الأمر إلى من يحسنه ويجيده . والمقصود : أنّ أبا بكر قد اختار الرجل المناسب فى المكان المناسب فاستعانَ على الحرب بسيف الله ، فما بال عمر يعزله ؟

(٨١) ويجيب حافظ على لسان عمر .. إنه خوف الفتنة .. والفتنة عندما تحدث تعجز المداوين ، ولا علاج لها . فكان عزله إجراء وقائيا لصيانة الصف الإسلامى .

(٨٢) يوجه حافظ الخطاب إلى كل الذين شغلهم أمر العزل فيقول : هَبُوه : أى هَبُوا عُمَرَ .. أى افترضوا أنه أخطأ .. « فى عين ناعيها » : أى فرعين من ينعى عليه ذلك ويعده سقطة وزلة .

(٨٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه . نابيها : أى ما ينبو من سيوف الهند ويَكِلّ ويرتدّ . والمراد : أن من عرف بالحكمة فى الرأى لا تعيبه زلّة كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن ترتد مرة وتنبو فلا تقطع ، فلكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة !

(٨٤) يقسم بالله على أن هذا العزل لم يصدر عن هوى ، ولا شفاء لحقد دفين .

(٨٥) المواضى : السيوف القاطعة . لم تثلم : لم تكسر أشفارها .

٨٦) لَمْ يَرْعَ فى طَاعة المولَى خُئُولَته   ولا رَعَى غَيرها فيما يُنافيها

٨٧) وما أصَابَ ابنَه والسوْطُ يأخُذُه   لَدَيْهُ من رَأْفَةٍ فى الحَدّ يُبْديها

٨٨) إن الّذى بَرَأ (الفارُوقَ) نَزّهَه   عن النّقائص والأغْراض تُنزيها

٨٩) فَذَاكَ خُلْقٌ منَ الفردَوْس طينَتُه   اللهُ أودَعَ فيها ما يُنَقّيها

٩٠) لا الكِبْرُ يَسكُنُها ، لا الظُّلْمُ يَصْحَبُها ،   لا الحقْدُ يَعْرِفُها ، لا الحرصُ يُغوِيها

◯◯◯

---

(٨٦) خُئولته : أى خئولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . فيما ينافيها : أى فى معصية المولى فعمر كان لا يخشى فى الله لومة لائم .

(٨٧) والدليل على هذا أن ابنه عبد الرحمن لم ينل منه رأفة والسياط تأخذ من جسمه حيث أقام عليه الحد فى شرب الخمر ، وقد مرض بعد ذلك ومات .

(٨٨) برأ : خلق .

(٨٩) من الفردوس طينته : كناية عن طهره .

(٩٠) يُغويها : يُضِلُّها .

(عمـر وعمـرو بـن العـاص)

كان شأن عمر مع عماله أن يصادرهم في أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما حق للمسلمين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ، ويرد لبيت المال .

فعل هذا عمر مع من لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب إلى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر فكتب إليه عمر : إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه : إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه عليه ، وأخرج إليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك ، فلم يسع عمرو بن العاص إلا الخضوع لما أمره به !

ويقول حافظ :

٩١) شاطَرْتَ داهيَةَ السُّواس ثرْوَتَه	ولَمْ تَخفْه بمصْرٍ وهُو واليهـا
٩٢) وأنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فى حَواضرِها	ولستَ تجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَـواديها
٩٣) لَمْ تُنبِت الأرضُ كابن العاص داهيَةً	يَرْمِى الخطوبَ برَأْيٍ ليسَ يُخطيها
فلَمْ يُرِغْ حيلَةً فيما أمَرْتَ بـه	وقامَ (عَمْرٌو) إلى الأجْمَال يُزْجيها
ولَم تُقِلْ عاملًا منها وقد كثُرَتْ	أمْوَالُه وفَشَا فى الأرْض فَـاشيها

(٩١) داهية السُّوّاس عمرو بن العاص . والسُّوّاس : جمع سائس وهو من يسوس الناس ويقودهم . ويشير الشاعر إلى ما كان من أمر مشاطرة عمرَ ماله فلم يسعه عِلى دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله .

(٩٢) الحواضر : المدن والعواصم . البوادى : القرى والريف والصحارى والمراد : أن عمراً كانت له مكانته عند الجميع سواء منهم الحاضر والبادى .

(٩٣) الخطوب : جمع خطب . أحداث الدهر ونوائبه . يخطيها : يخطئها وخففت همزتها . والمراد : صواب رأيه .

(٩٤) يُرِغ حيلة : أراغ : طلب . فلم يلتمس حيلة ماكرة . والأجمال : الجمال . يزجيها يسوقها إلى الخليفة لتكون من نصيب بيت مال المسلمين .

(٩٥) ولم تُقِل : ولم تُعْفِ أحدا من عمالك من مشاطرة ماله بل طبقت قرارك على الجميع دون استثناء . وفشا فاشيها : أى : كثر وانتشر هنا وهناك .

(عمر وولده عبد الله)

مَرّ عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بنُوقٍ قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها فقيل له : عبد الله . فساقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها ، وأنه لولا جاهُه بين الناس ما قدر على إطعامها ! .

وكأنما أراد عُمَرُ – رضى الله عنه – أن يغلق الباب فى وجه كل من يستغلون السلطنة والنفوذ من الأقارب لمصالحهم الشخصية !!

وإلى ذلك يشير حافظ بقوله :

٩٦) وما وَفَى ابنُكَ (عبدُ الله) أَيْنُقَه	لمَّا اطَّلَعْتَ عليها فى مـرَاعيها
٩٧) رأيتَها فى حماهُ وهى سارحةٌ	مثلَ القُصور قد اهتزت أعاليها
٩٨) فقلتَ : ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها	لو لَمْ يَكُنْ وَلَدى أو كان يُرْوِيها
٩٩) قد استعانَ بِجاهِى فى تجارَتِه	وباتَ بِاسمِ (أَبِى حَفْصٍ) يُنَمِّيها
١٠٠) ردوا النِّيَاقَ لبَيْت المالِ إنّ له	حَقَّ الزِّيادة فيها قَبـل شاريها
١٠١) وهذه خُطَّةٌ لله واضِعُها	رَدَّتْ حُقوقاً فأَغْنَتْ مُستَمِيحيها
١٠٢) ما الإشتراكيَّةُ المَنْشُود جانِبُها	بينَ الوَرَى غَيْرَ مَبْنَى مِنْ مَبانِيها
١٠٣) فإن نكنْ نحنُ أَهْليها ومَنْبِتَها	فإنهـمْ عَرَفُوهـا قَبـلَ أَهْلِيهـا

---

(٩٦) الأينق : النياق جمع ناقة .

(٩٧) اهتزت أعاليها : كناية عن سمنها وامتلاء أسنمتها .

(٩٨) أى لولا وجاهته وأنه ابن الخليفة ما قدر على حسن تربيتها .

(٩٩) ينميها : يزيدها . مستغلا مكانته منى .

(١٠٠) إن بيت المال أولى بهذه الزيادة التى لم تأت عن جهد شخصى .

(١٠١) أغنت مستميحيها : أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال .

(١٠٢) إن المذهب الإشتراكى ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر .

(١٠٣) إن نكن – نحن العرب – أهل هذه الخطة وفينا نبتت فإن غيرنا قد عرفها وعمل بها قبلنا – وإن تنوعت أشكالها واختلطت مفاهيمها فى الشرق والغرب وأسوء تطبيقها – فنحن أحق بها وأهلها كما طبقها عمر – رضى الله عنه ، نابعة منا لا مستوردة .

(عمـر ونصـر بـن حجـاج)

كان عمر – رضى الله عنه – يَعُسُّ ليلة ، فسمع امرأة تقول :

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها   أم هل سبيلٌ إلى نصرِ بن حجاجِ ؟!

فلما أصبح سأل عن نصر هذا وأرسل فى طلبه ، فلما جيء به وجده من أحسن الناس شعراً ، وأصبحهم وجهًا ، فأمره أن يطم شعره (   ) ففعل ، فظهرت جبهته فازداد حسنا ، فأمره عمر أن يعْتَمّ ، ففعل ، فازداد حسنا ، فقال عمر : لا !! والذى نفسى بيده لا تكون بأرض أنا بها ، وأمر له بما يُصْلحه ، وسيّره إلى البصرة ، ولا ذنب له فى جماله ، وإنما أراد عمر أن يقضى على الفتنة فى مدينة الرسول ﷺ وإلى هذا يشير حافظ بقوله :

١٠٤) جنى الجمالُ على (نصرٍ) فغرَّبه	عن المدينة تَبْكِيه وتَبْكِيها
١٠٥) وكَمْ رَمَتْ قَسَماتُ الحُسْنِ صاحِبَها	وأتْعَبَتْ قَصَباتُ السَّبْقِ حاوِيها
١٠٦) وزهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها	لَمَا استطالَتْ عليها كفُّ جانيها
١٠٧) كانت له لِمَّةٌ فَيْنانَةٌ عَجَبٌ	على جَبِينٍ خليقٍ أن يُحَلِّيها
١٠٨) وكان أنَّى مَشَى مالَتْ عَقَائِلُها	شَوْقاً إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها
١٠٩) هَتَفْنَ تحتَ اللَّيالى باسمِه شَغَفًا	وللحِسان تَمَنٍّ فى لَيالِيها
١١٠) جَزَزْتَ لمَّتَه لمَّا أُتِيتَ به	ففاقَ عاطِلُها فى الحُسْنِ حالِيها

---

(١٠٤) نصر : هو نصر بن حجاج .

(١٠٥) قسمات الحُسن : مجاليه . وقصبات السبق : ما ينصب فى ميدان السباق . فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق . وحاويها : من يحويها ويحوزها وينالها . ولا يكون ذلك إلا بعد تعب .

(١٠٦) قد يكون الجمال سببا فى الجناية على صاحبه .

(١٠٧) لِمّة (بكسر اللام وميم مشددة) شعر يجاوز شحمة الأذنين والجمع : لِمم . وفينانة : طويلة حسنة . خليق . جدير .

(١٠٨) عقائلها : أى كرائم نساء المدينة . الواحدة : عقيلة . يسبيها : يأسرها .

(١٠٩) شغفًا : يقال شغف به أحبه وأولع به .

(١١٠) عاطل اللّمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها . أى فبدا أجمل مما كان قبل جزها وقصها .

١١١) فَصِحْتَ فيه : تَحَوَّلْ عن مَدينَتِهِمْ   فإنّهــا فتنــةٌ أخشَى تمــاديها
١١٢) وفتنةُ الحُسْنِ إنْ هَبَّتْ نوافحُها   كفتنةِ الحَرْبِ إنْ هَـبَّتْ سَوافِيها



---

(١١١) أراد عمر – رضى الله عنه – بهذه الصرامة الحازمة أن يحارب فى نفوس العرب كل ضعف يجعل للهوى سلطانا عليها ذلك بأن القوة روح الإسلام وجوهره .

(١١٢) نوافحها : أى روائحها الطيبة ، جمع نافحة ، ويمكن أن تكون بالجيم . نفجت الريح : هبت عاصفة . وسوافى الحرب : عواصفها يقول : إن الحسن يفعل فى النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها . ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ « لوافحها » باللام مكان نوافحها بالنون . واللوافح : الرياح الحارة المحرقة جمع لافحة ، والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(عمـر ورسـول كسـرى)

يروى أن رسول كسرى لما وصل إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره ، فعلم أنه لا يسكن قصرا ، وإنتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب ، وهناك كان الخليفة العظيم راقداً على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله من مظاهر الحياة ما يميزهُ من أصغر فرد فى رعيته ، فلما رأى ذلك دهش ووقف أمامه خاشعا وقال : عبارته المعروفة : عدلت يا عمر ، وأمنت فنمت ، وإلى هذه القصة يشير حافظ بقوله :

١١٣) وَراعَ صاحبَ (كسْرَى) أنْ رَأى عُمَرًا ... بَيْنَ الرَّعِيَّـة عُـطْلًا وهْـو راعيها

١١٤) وعَهْدُه بمُلُوك الفُرْسِ أنّ لها ... سُورًا من الجُند والأحراسِ يَحميها

١١٥) رآه مُستغرِقًا فى نَومه فَرأى ... فيه الجَلالَة فى أَسْمَى مَعانِيها

١١٦) فوقَ الثّرى تحتَ ظِلِّ الدَّوحِ مُشتمِلًا ... بِبُرْدَةٍ كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها

١١٧) فهانَ فى عَيْنِه ما كان يُكْبِرُه ... مِنَ الأكاسِرِ والدّنيا بأيْدِيها

١١٨) وقال قَوْلَةَ حَقٍّ أصبَحَتْ مَثَلًا ... وأصبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيل يَرْوِيها :

١١٩) أَمِنتَ لمّا أَقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ ... فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيها

---

(١١٣) عُطلاً : متجردا من مظاهر الأبهة والملك التى يراها الفُرس على ملوكهم .

(١١٤) الأحراس : الحرس .

(١١٥) الجلالة : العظمة .

(١١٦) الثرى : التراب . والدوح : جمع دَوْحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل بالبردة : التف بها . وهى كما بدت تكاد تبلى من طول ما استعملت .

(١١٧) هان صغر . ويُكْبِره : يعظمه . والأكاسر : الأكاسرة ملوك الفرس صغر فى عين رسول كسرى ما كان يراه عظيما أمام عظمة عمر .

(١١٨) مثلا سائرا يروى على كل لسان .

(١١٩) - قرير العين : راضياً مسروراً وفى التنزيل العزيز: ﴿ كى تقرّ عينها ولا تحزن ﴾ .

(عُمَـر والشـورى)

كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم ، وكان يقول : لا خير فى أمر أُبرم من غير شورى . وهو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة ؛ فقد سئل عندما طُعِنَ عمّن يوصى به بعده فقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة – إن قدم – وأحضِر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، وقم على رءوسهم ؛ فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا ، وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم ، وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف . واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس ، وإلى هذه القصة يشير الشاعر :

١٢٠) يا رفعًا رايةَ الشُّورَى وحارسَها ... جَزاكَ رَبُّكَ خَيْراً عن مُحبِّيها

١٢١) لِمَ يُلْهِكَ النَّزْعُ عن تأْيِيد دَوْلَتِها ... وللمنيـَّة آلامٌ تُعانيها

١٢٢) لَمْ أَنْسَ أَمْرَكَ لِلمِقْداد يَحْمِلهُ ... إلى الجَماعة إنْذارا وتَنْبيها

١٢٣) إنْ ضَلَّ بَعْدَ ثَلاثٍ رأيُها شَعَباً ... وللمنيَّة آلامٌ تُعانيها

١٢٤) فاعْجَبْ لقوّةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُها ... طَعْمُ المَنِيَّة مُراً عن مَراميها

١٢٥) دَرَى عَمِيدُ بَنِي الشُّورَى بمَوْضِعِها ... فعاشَ ما عاشَ يَبْنِيها ويُعْلِيها

١٢٦) وما استَبَدَّ برأْيٍ فى حُكومَتِه ... إن الحُكومَةَ تُغْرِى مُسْتَبِدَّيها

١٢٧) رأيُ الجَماعة لا تَشْقَى البِلادُ به ... – رَغْمَ الخِلاف – ورَأْى الفَرْد يُشْقِيها

---

(١٢٠) كان عمر – رضى الله عنه – أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة . وكان النبى ﷺ أول من نفذ أمر الله بالشورى ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ وجاء عمر فعمل على أن تظل راية الشورى مرفوعة بعد رسول الله ﷺ .

(١٢١) دولتها : أى دولة الشورى . والنزع : الإشراف على الموت . والمنية الموت .

(١٢٢) المقداد بن الأسود . والجماعة : على وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وطلحة .

(١٢٣) بعد ثلاث : أى بعد ثلاث ليال . شعباً متشعبا ومفترقا . والهوادى : الأعناق .

(١٢٤) مراميها : ما كانت ترمى إليه ، وأهدافها .

(١٢٥) عميد بنى الشورى : عمر رضى الله عنه

(١٢٦) استبد برأى : انفرد .

(١٢٧) وقد رأينا – ما يحل بالبلاد من هزائم ونكبات بسبب رأى الفرد المستبد .

(مثـال مِـن زُهـدِهِ)

تحدث الجميع بزهد عمر في الدنيا وزينتها ورغبته فيما عند الله .

ويُروى أن عمر – رضى الله عنه – لما اتجه إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجع ، فنزل عنه ، وأتى ببرذون (نوع من الدواب دون الخيل وأقوى من الحُمُر) فهزه ، فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبّح الله من علّمك ! . هذا من الخيلاء !

ثم دعا بفرسه بعد أن استجمّ واستراح من عناء الطريق فركبه حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ولم يركب برذونًا قبل ذلك ولا بعده أبداً !! وإلى ذلك يشير حافظ بقوله :

١٢٨) يا مَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزينَتِها	فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياك مُغْـريها
١٢٩) ماذا رأيتَ بباب الشام حين رَأَوْا	أنْ يُلْبِسوكَ من الأثْـواب زاهيها
١٣٠) ويُرْكبُوكَ على البِرْذَونْ تَقْدُمُه	خَيْـلٌ مُطَهَّمَـةٌ تخلُـو مَـرائيها
١٣١) مَشَى فهَمْلَجَ مُخْتالا براكِبِه	وفى البَراذين ما تُزْهَى بعَـالِيها
١٣٢) فصِحْتَ : يا قومُ ، كادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُني	وداخَلَتْنِـى حَـالٌ لستُ أدْريها
١٣٣) وكادَ يَصْبُو إلى دُنْياكُمُ (عُمَرٌ)	ويَـرْتضى بَيْـعَ باقيـه بفانِيهـا
١٣٤) رُدُّوا رِكَابِى فلا أَبْغى به بَدَلاً	رُدُّوا لِيـابى فحَسْبِـى اليومَ بالِيهـا



(١٢٨) صدفت : أعرضت وصَدَدْت .
(١٢٩) زاهيا : ما صفا منها وأشرق .
(١٣٠) مطهمة : متناهية الحُسن ، كريمة أصيلة . مرائيها : مناظرها .
(١٣١) الهملجة : حسن السير فى تبختر . وأزهى (بالبناء للمجهول) : اختال . وعاليها : راكبها .
(١٣٢) أحس عمر بشيء غريب عليه . والزهو : التيه والتعاظم والافتخار .
(١٣٣) يصبو : يميل .
(١٣٤) ركابى : فرس . باليها قديمها . وحسبى : كافيني .

(مِثَالٌ مِنْ رَحْمَتِهِ)

روى أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كان يتعسَّسُ بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصًى وماء ، تشغل بذلك أولادَها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يُشْعل النار وينضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا .

ويسلط حافظ إبراهيم الأضواء على تلك القصة ويصوغها شعرا نظمه فى سلك عمريته قائلا :

١٣٥) وَمَنْ رَآهُ أمامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا	والنارُ تأْخُذُ منه وهْوَ يُذْكيها
١٣٦) وقد تَخلَّلَ فى أَثْناءِ لحْيَتِه	منها الدُّخانُ وَفُوهُ غابَ فى فيها
١٣٧) رأى هُناكَ أميرَ المؤمنين عَلَى	حالٍ تَرُوعُ – لَعَمْرُ اللهِ – رائِيها
١٣٨) يَسْتَقْبِلُ النارَ خَوْفَ النارِ فى غده	والْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سالَتْ مَآقِيها

(١٣٥) منبطحا : نائما على وجهه . تأخذ منه : تناله وتصيبه لاقترابه منها . يذكيها ، يوقدها ويزيدها اشتعالا .

(١٣٦) تخلّل : دخل واختلط . فى أثناء : جمع ثِنى أى بين شعر اللحية. وفوه غاب فى فيها : أى فمه غاب فى فم النار وهو ينفخها .

(١٣٧) رأى .. الخ جواب الشرط فى البيت الأول .. أى من رآه رأى هناك .. الخ .

(١٣٨) المآقى : جمع مَأْق ومُؤْق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع .

(مثالٌ مِنْ تَقَشُّفِه ووَرَعِه)

وقد كان عمر – رضى الله عنه – مثلا أعلى لتقشف الحاكم ، ولا يفوت الشاعر أن يشير إلى حادثتين :

الأولى : ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، ويأخذ طعامه ، ويشترك مع القوم إلى أن تنتهى المجاعة كما حدث فى عام الرمادة .

والثانية : ما حكى من أن امرأته اشتهت الحلوى ، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفى لصنعها ، فلما نمى هذا إلى عمر رد ما ادخرته إلى بيت المال ، ونقص من نفقتها بقدر ما ادخرت . يقول حافظ :

١٣٩) إنْ جاعَ – فى شدَّةٍ – قَوْمٌ شرِكْتَهُمُ	فى الجُوعِ أو تَنْجَلِى عنهمْ غَواشيها
١٤٠) جُوعُ الخليفةِ – والدُّنيا بقَبْضَتِه –	فى الزُّهْدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحانَ مُوليها
١٤١) فَمن يُبارى (أبا حَفْصٍ) وسيرَتَه	أوْ مَنْ يُحاوِلُ (للفاروقِ) تَشْبِيها
١٤٢) يومَ اشتَهَتْ زَوْجُهُ الحَلْوَى فقالَ لها :	مِنْ أيْنَ لى ثَمَنُ الحَلْوَى فأشْرِيها ؟!
١٤٣) لا تَمْتَطى شَهَواتِ النَّفْسِ جامحَةً	فكِسْرَةُ الخُبْزِ عَنْ حَلْواكِ تُجْزيها
١٤٤) وهَل يَفى بَيْتُ مالِ المُسْلمينَ بما	تُوحى إليكِ إذا طاوَعْتِ مُوحِيها ؟
١٤٥) قالت : لكَ اللهُ إنِّى لَسْتُ أرزؤُه	مَالًا لحاجَةِ نفْسٍ كنتُ أبْغيها
١٤٦) لكنْ أُجَنِّبُ شيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنا	فى كُلِّ يَوْمٍ على حالٍ أُسَوِّيها
١٤٧) حتى إذا ما مَلَكْنا ما يُكافِئُها	شَرَيْتُها ثُمَّ إنِّى لا أُثَنِّيها

---

(١٣٩) تنجلى : تزول . غواشيها : ما يغشى الأمة من شدة وقحط والواحدة غاشية .

(١٤٠) مُوليها : معطيها . بقبضته : يحكمها ويسيطر عليها .

(١٤١) أبا حفص : عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – .

(١٤٢) فأشريها : أشتراه وشراه واشتراه بمعنى . وقد تأتى شراه بمعنى باعه .

(١٤٣) تجزيها : تغنيك عنها . وهو هنا ينهاها عن ركوب شهوات النفس .

فالنفس كالطفل أن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(١٤٤) موحيها : ما توحى به وتدفعك إلى طلبه .

(١٤٥) لست أرزؤه مالا : أى لا أُحَمِّل بيت المال غِبْنا بسببى . والرُّزء : المصيبة .

(١٤٦) أجنب : أدخر وأدعه جانبا . وظيفتنا : معاشنا وما يجرى علينا من بيت المال .

(١٤٧) ما يكافئها : ما يساوى ويعادل ثمنها . لا أثنيها : لن أعود إلى ذلك ثانية

١٤٨) قال: اذهبي واعلمي إنْ كنتِ جاهِلةً ... أنَّ القَناعةَ تُغني نفسَ كاسيها
١٤٩) وأقْبلَتْ بَعْد خمسٍ وهي حاملةٌ ... دُرَيهماتٍ لِتقْضي مِنْ تَشَهِّيها
١٥٠) فقال : نَبَّهْتِ منِّي غافِلًا فدَعِي ... هٰذي الدَّراهِمَ إذْ لاحَقَّ لي فيها
١٥١) وَيْلي عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بمُوفيَةٍ ... على الكَفافِ ويَنْهَى مُسْتَزيديها
١٥٢) مازادَ (عَنْ) قُوتنا فالمُسْلِمُون به ... أَوْلَى فقُومي لِبَيْتِ المالِ رُدِّيها
١٥٣) كذاكَ أَخلاقُه كانتْ وما عُهِدَتْ ... بعد النُّبوَّةِ أَخلاقٌ تُحاكيها



(١٤٨) كاسيها : من يتجمل ويتحلى بها ، فالقناعة كنز لا يفنى ، والغنى غنى النفس ، ومن يئس من شيء استغنى عنه .

(١٤٩) لتقضى من تشهِّيها : لتحقق بها رغبتها فى اشتهاء الحلوى .

(١٥٠) نبهت منى غافلا : نبهتنى إلى ما كنت غافلا عنه فقد تبينت أننا نأخذ من بيت المال ما يمكن أن يزيد عن حاجتنا الضرورية !

(١٥١) موفية على الكفاف : أى بما يزيد عن الحاجة من الرزق .

(١٥٢) رديها : أى ردى تلك الزيادة التى كانت قد ادخرتها من القوت الضرورى .

(١٥٣) تحاكيها : تماثلها .

(مِثــالٌ مِـنْ هَيْبَتِـه)

كان لعمر – رضى الله عنه – هيبته فى النفوس جميعا مع أنه كان ينطوى على رحمة للعالمين وإن كان لا يظهرها .

ويتناول حافظ قصة من قصص هيبته فيحكى قصة تلك التى نذرت لئن عاد النبى ﷺ من غَزْوِه منتصرا لتُغَنّى له ، فلما عاد جاءت الجارية لتفى بنذرها فلما رأت عمر خافت واضطربت ، فروح عنها رسول الله ﷺ وقال مبتسما : « لقد فر شيطانُها حين رأى عمر » !

١٥٤) فى الجاهليّة والإسلام هَيْبَتُه	تُثْنِى الخُطوبَ فلا تَعْدُو عَواديها
١٥٥) فى طَىّ شِدَّته أسْرارُ مَرْحَمَةٍ	للعالِمينَ ولكِـنْ لَيسَ يُفْشيها
١٥٦) وبَيْنَ جَنْبَيْه فى أوْفَى صَرامَتِه	فُـؤادُ والِـدة تَرْعَـى ذَراريها
١٥٧) أغْنَتْ عن الصّارِمِ المَصْقُول دِرّتُه	فكَمْ أخافَتْ غَوِىَّ النفسِ عاتِيها
١٥٨) كانت له كعَصَا (مُوسَى) لِصاحِبِها	لا يَنْزِلُ البُطْلُ مُجْتازًا بِواديها
١٥٩) أخافَ حتَّى الذَّرارى فى ملاعِبِها	ورَاعَ حتَّى الغَوانِى فى مَلاهيها
١٦٠) أرَيْتَ تِلْكَ الّتى لله قد نَذَرَتْ	أُنْشُودةً لِرَسُولِ الله تُهْديها ؟
١٦١) قالتْ : نَذَرْتُ لئن عادَ النّبى لَنا	مِنْ غَزْوَه لَعَلَى دُفِّى أُغَنِّيها
١٦٢) ويَمَّمَت حَضْرَةَ الهادى وقد مَلأتْ	أنْوارُ طَلْعَتِه أرْجاءَ ناديها

---

(١٥٤) تثنى الخطوب : ترد المصائب ، وتحول دون وقوعها وحلولها !

(١٥٥) ليس يفشيها : لا يبدى تلك المرحمة ، فلا يظهر منه إلا الجانب الشديد .

(١٥٦) أوْفَى صرامته : أى فى أقصى شدته . فؤاد : قلب . والذرارى : الذرية .

(١٥٧) الصارم المصقول : السيف . والدِّرَة : العصا يضرب بها ، ودرة عمر معروفة . والغوى : الضالّ . والعاتى : الذى جاوز الحد فى الغواية .

(١٥٨) كعصى موسى التى يهش بها على غنمه وله فيها مآرب أخرى البُطْل : الباطل ويريد بالشطر الثانى : أنه لا يضرب بها إلا فى حق .

(١٥٩) الغوانى : النساء اللاتى استغنين بحسنهن وجمالهن عن كل زينة ، الواحدة : غانية .

(١٦٠) أريت : أى أرأيت . ويشير الشاعر إلى تلك القصة التى ذكرت فى مقدمة الأبيات .

(١٦١) دُفِّى : الدف : آلة طرب يُنقر عليها وجمعه دفوف .

(١٦٢) يمّمت : اتجهت وقصدت .

١٦٣) واستأذنَتْ وَمشَتْ بالدُّفّ واندفَعَتْ　　تُشجِي بألحانِها ما شاءَ مُشجِيها
١٦٤) (والمصطفى) (وأبو بكْرٍ) بجانِبه　　لا يُنكِران عليها مِنْ أغانِيها
١٦٥) حتى إذا لاحَ منْ بُعْدٍ لها (عُمَرٌ)　　خارَتْ قُواهَا وكادَ الخوْفُ يُرديها
١٦٦) وخبَّأتْ دُفَّهَا في ثوْبها فرقاً　　منهُ وودَّتْ لو ان الأرْضَ تطْويها
١٦٧) قد كانَ حلْمُ رَسُول الله يُؤْنِسُها　　فجاءَ بَطْشُ (أبي حَفْص) يُخشِّيها
١٦٨) فقالَ مَهْبِطُ وَحْي الله مُبْتَسِمًا　　وفي ابتِسامَتِه مَعْنًى يُواسِيها
١٦٩) قد فَرَّ شَيْطانُها ، لمّا رَأى عُمَرًا　　إن الشياطينَ تخْشى بأسَ مُخْزِيها

---

(١٦٣) تشجي : تطرب .
(١٦٤) لا ينكران عليها من أغانيها : لا يبديان عدم موافقتهما .
(١٦٥) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .
(١٦٦) فرَقًا : خوفاً . تطويها : تخفي من أمامه .
(١٦٧) يُخشّيها : يخوّفها .
(١٦٨) مهبط وحي الله : الرسول ﷺ .
(١٦٩) مُخزيها : من يهينها ويفضحها .

(مِثالٌ مِنْ رُجوعِه إلى الحقّ)

كثيرا ما كان عمر – رضي الله عنه – يرجع إلى الحق وسيرة عمر مليئة بقصص رجوعه إلى الحق ، فالرجوع إلى الحق فضيلة ، وهو خير من التمادى فى الباطل .

وقد ساق الشاعر قصة عمر عندما تسور الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورًا ثلاثة أتاها ، وهى : دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، وتجسسه عليهم ، وكل هذه نهى عنها الله ، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم على ألا يعودوا لمثلها ، وإلى هذه الحادثة يشير حافظ بقوله :

١٧٠) وفِتْيَةٍ وَلِعُوا بالرَّاحِ فانتَبَذُوا ... لهمْ مكاناً وجَدُّوا فى تَعاطِيها

١٧١) ظَهرْت حائِطَهُم لمّا علمْتَ بهمْ ... والليلُ مُعْتَكِرُ الأرجاءِ ساجيها

١٧٢) حتى تَبيَّنْتَهُمْ والخمرُ قد أخذَتْ ... تعْلُوا ذُؤابَةَ ساقِيها وحاسِيها

١٧٣) سَفَّهتَ آراءَهُمْ فيها فما لَبِثُوا ... أنْ أوْسَعُوكَ على ما جئْتَ تَسْفيها

١٧٤) ورُمْتَ تَفْقِيهَهُمْ فى دينِهِمْ فإذا ... بالشَّرْبِ قد بَرَعُوا (الفارُوقَ) تَفْقيها

١٧٥) قالوا : مَكانَكَ قد جئْنا بواحِدَةٍ ... وجئْتَنا بثَلاثٍ لا تُبالِيها

١٧٦) فأْتِ البُيوتَ من الأبْوابِ (ياعُمَرٌ) ... فقد يُزَنُّ من الحيطانِ آتيها

١٧٧) واستأذِنِ الناسَ أن تَغْشَى بُيُوتَهُمْ ... ولا تُلِمَّ بدارٍ أو تُحَيِّيها

---

(١٧٠) الراح : الخمر . انتبذوا : اعتزلوا ناحية .

(١٧١) ظهرت حائطهم : علوته وتسلقته . معتكر الأرجاء : مظلم الجوانب . والساجى : الساكن الراكد الظلمة .

(١٧٢) الذُؤابة : يراد بها هنا أعلى الرأس . أى لعبت برءوسهم ، والذؤابة : الضفيرة من الشعر ، والحاس : المحتسي والشارب .

(١٧٣) سفهت آراءهم فيها : أى فى الخمر . فبادلوك تسفيها بتسفيه بسبب تسورك عليهم ، وعدم استئذانك . وتجسسك

(١٧٤) الشَّرْب : القوم يشربون ويجتمعون على الشراب .

(١٧٥) مكانك : الزم .

(١٧٦) يا عمرٌ : منادى منون لضرورة الوزن ، وفى كتب النحو أن المنادى المنون لضرورة الوزن يجوز فيه الضم والنصب . يُزَنّ : يُتهم .

(١٧٧) أو تحييها : حتى تحيّى أهلها وتستأذنهم .

١٧٨) ولا تَجسَّسْ فهذى الآىُ قد نزلَتْ بالنَّهْى عنه فلَمْ تذْكُرْ نواهيا

١٧٩) فعُدْتَ عنهم وقد أكبَرْتَ حُجَّتَهُمْ لمَا رَأيْتَ كتابَ الله يُمْليها

١٨٠) وما أنفت وإنْ كانوا على حرجٍ مِنْ أنْ يَحُجَّكَ بالآيات عاصيها



(١٧٨) فهذى الآى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ .
(١٧٩) فعدت عنهم : تركتهم دون إقامة الحد عليهم .
(١٨٠) الحرج : الإثم . وحجّه بحجة : غلبه الحجة .

(عُمَـرُ وشَجَـرةُ الـرّضْـوان)

شجرة الرضوان هي تلك الشجرة التي بايع النبى ﷺ أصحابه تحتها يوم الحديبية .

وقد رأى عمر – رضى الله عنه – أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معانى الوثنية فأمر بقطعها ، فقطعت ، وإلى هذا يشير حافظ إبراهيم بقوله :

١٨١) وسَرْحَةٍ فى سَماء السَّرْحِ قد رَفَعَتْ ... بِبَيْعَةِ المُصْطَفَى مِنْ رأسِها تِيها

١٨٢) أَزَلْتَها حينَ غالَوْا فى الطَّواف بها ... وكانَ تَطْوَافُهُم للدِّين تَشْويها

ccc

(١٨١ السرحة : الشجرة الطويلة . أو هي الشجرة التي لا شوك فيها . والشاعر يريد أن يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت تيها وافتخارا على مثيلاتها من أعالى الأشجار بهذه البيعة .

(١٨٢) غالَوْا : بالغوا وأكثروا .

(الخاتمة)

وبعد ، فلقد عقب حافظ على كل ما ذكره من مناقب عمر بأنه حكاها للشاهدين وللأعقاب لتكون غذاء لنفوس من يعونها ، ولتجلوَ للحاضر مرآة الماضى ، ويكفى أن يرى الجميع ما كان من عمر ليستقظوا من غفوتهم ، وليصبحوا أصحاب ماض مجيد وحاضر مشرق . وفى هذا يقول حافظ :

١٨٣) هٰذى مَناقِبُه فى عَهْد دَوْلَتِه — للّشاهِدينَ وللأعْقاب أحْكيها

١٨٤) فى كلِّ واحدةٍ منهنّ نابِلَةٌ — من الطبائع تَغْذو نفْسَ واعيها

١٨٥) لَعَلَّ فى أمّة الإسْلام نابِتةً — تَجْلو لحاضِرها مِرْآةَ ماضِيها

١٨٦) حتّى ترَى بَعْضَ ما شادَت أوائِلُها — من الصُّروح وما عاناهُ بانِيها

١٨٧) وحسبها أن ترى ما كان من (عُمَر) — حتّى يُنَبِّهَ منها عَيْنَ غافيها



---

(١٨٣) المناقب : جمع مَنْقبة . وهى الفعل الكريم والمفخرة وللأعقاب : جمع عقب : الولَد وولد الولد الباقون بعده .

١٨٤) النابلة : السّجية الشريفة من سجايا النبل .

١٨٥) نابته : ناشئون .

١٨٦) شادت : شيدت وبنت وأسست .

١٨٧) الغافى : النائم .

وقفة مع النفس !!

لابد لكى نستعيد مجدنا أن نبدأ بأنفسنا ، فلا تقع العين فى المنزل ، والمدرسة ، والديوان والشارع إلا على قدوة وعندئذ نكون قد وضعنا أقدامنا على أول الطريق !

ودعنى أسائلك :

● هل نعود أبناءنا الصدق فى القول والعمل ؟

● هل ندربهم على إعمال الروية والتفكير الصحيح ؟

● هل ننشئهم على قوة الإرادة ، والاعتماد على الذات ؟

● هل نؤدبهم بأدب النفس ، وأدب الدرس ؟

● هل نعلمهم أن إتقان لغتهم الفصحى هو الأصل فى نهضتهم ، وأن من عرف لغة قوم أمن مكرهم ؟!

● هل نعلمهم أن تجويد كل ما تصنعه اليد ، ويهيئه العقل هو السر الأعظم فى قيام مجتمعهم ؟

● هل نعلمهم أن كل عمل نافع بقدر ما ينتج من فائدة ، وكل صناعة شريفة إذا لم تكن مما يثلم الشرف والمروءة ؟!

● هل نخرج أطفالنا فى صناعات يقتصدون من ربحها ، لنغرس فى نفوسهم تحمل المسئولية بدلا من الإتكال على الآباء .

● هل نعود أبناءنا وبناتنا أن يفكروا فى مصلحة الجماعة تفكيرهم فى مصالحهم الخاصة ، وهل ننمى فيهم مشاعر الانتماء والوفاء ؟!

● هل نربيهم على الإيمان بالتكافل والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ؟!

● هل نأخذهم بالجِدّ فى كل شىء ؟!

● هل نُلقّنهم الأصول الدينية والمدنية المجمع عليها حتى تكون لهم

هويتهم ؟!

● هل ندعوهم إلى الامتناع من تقليد الغربيين إلا فى الأمور المادية النافعة التى لا تضر بذواتهم ومقدساتهم ؟!

● هل نعنى بتهذيب المرأة عنايتنا بتهذيب الرجل ، وهل نعمل جميعا على صيانتها فى القرى والمدن من التبرج والتبذل والعرى ؟!

● هل تسهم الحكومات فى حل أزمة الزواج بإتاحة السكن الملائم للشباب ، وتخفيف المهور ، وإتاحة الفرص للشباب لكى يبدءوا حياة كريمة شريفة يتفرغون فيها لخدمة وطنهم ورفع راية الحق والعدل ؟!

● هل نقتصر ما أمكن على تثمير ما تنتجه أرضنا ، وتصنعه أيدينا من حاصلات وصناعات ؟!

● هل نحذف من حياتنا كل زائد من الرفاهية والبذخ ؟!

● هل تتعاون الشركات والمصانع والهيئات بالإكتتاب على إنشاء مدارس عملية للصناعة والزراعة والتجارة ملحقة بالمصانع والشركات إلى جانب محو الأمية والقضاء عليها ؟

● هل نربى فى الناشئة الذوق والحس والشعور بالجمال ، والاهتمام بالترتيب والنظام والنظافة ؟!

● هل نبذل الجهد حيث كنا على ألا يتولى الأعمال الدينية والمدنية إلا من تثبت كفايتهم ، وسلمت من الضعف والنقص أخلاقهم .

● هل نيسر للناس مصالحهم ، ونقضى حوائجهم ، ونؤمن حياتهم ؟!

● هل عملنا على احترام المسلمين بكل الوسائل ، وقضينا على كل مظاهر الإذلال ؟!

● هل ساعدنا الفلاحين على إستصلاح الأراضى البور ، ويسرنا لهم زراعتها ؟

● هل ضربنا على أيدى المنحرفين ، وقضينا على الرشوة والمرتشين ؟

● هل أنشأنا فى كل حىّ وقرية كُتّابا ، وجامعا ، وحمامًا ، وملعبا ، وخزانة

كتب تلائم حاجتهم ومحيطهم ؟

● هل اتخذ أهل كل حرفة لهم نقيبا ، ونزلوا على رأى الخبراء والمحنكين من الشيوخ فى نقابتهم ؟

● هل ألفنا جمعيات لمحاربة المخدرات ، والمسكرات والتدخين والفحش والإسراف ، وجمعيات للرياضة البدنية ، والسياحة العلمية ؟!

● هل يقوم الخاصة بنشر رسائل دورية بين العامة واضحة مشكولة تكتب بلغة عربية مفهومة فى موضوعات أدبية وإقتصادية وإجتماعية ، فيها تعليم وتهذيب ، ولهو ولعب وجد ؟!

● هل يطوف المتعلمون فى أيام مخصوصة يحاضرون قومهم ، ويسامرونهم فى مسائل تطبعهم بطابع الوطنية ، وحب العرب والعربية ، وتعرفهم إلى المشهورين من رجال الإسلام وغيرهم فى الدهر الغابر والحاضر ، وتذكرهم بما لهم وعليهم من الحقوق والواجبات ؟!

● هل تحول الزكاة والصدقات إلى ملاجىء يأوى إليها اليتامى والعجزة ، ومن قعدت بهم الأيام عن الكسب ، حتى نقضى على التسول والشحاذة لينصرف كل صحيح الجسم إلى ممارسة عمل يعيش منه بكده ؟!

● هل نفكر طويلا ونخطط للأعمال تخطيطا سليما قبل البدء فيها ؟!

● هل نحاسب المنحرفين أولا بأول لا فرق بين غنى وفقير ؟!

● هل جعلنا من أولئك الذين يسيئون إلى أوطانهم ودينهم عبرة لغيرهم ؟!

● هل كنا جادين فى تنفيذ قانون الكسب غير المشروع ، وساءلنا كل أصحاب التحول الطفيلية : من أين لك هذا ؟

● هل نسير جميعا فى اتجاه واحد ؟ أم بعضنا يبنى وغيرهم يهدم ؟

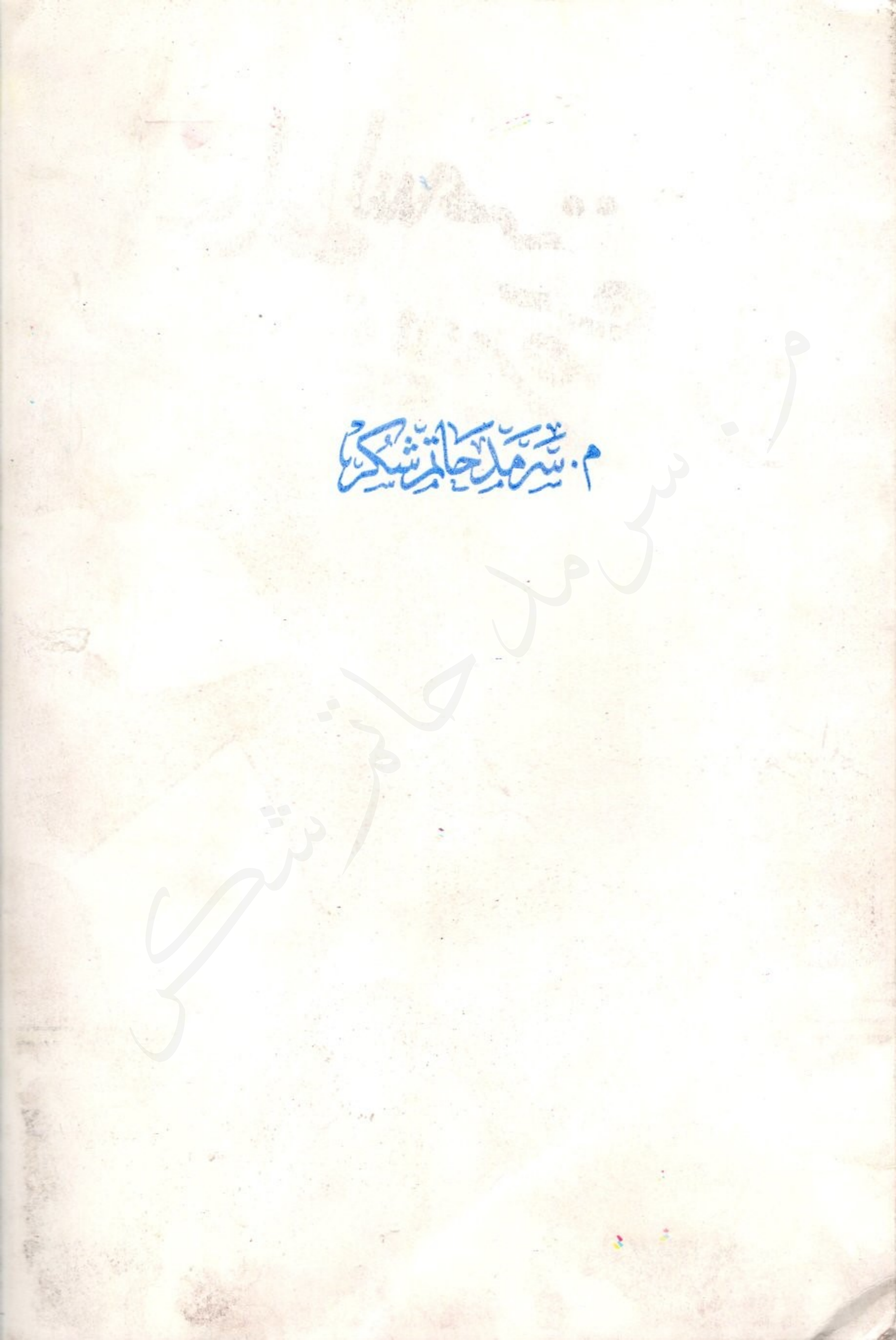
● هل وسائل الإعلام تعمل طبقا لخة تساير أهداف التربية والتعليم ؟!

● هل نعتمد على مواردنا الذاتية والاقتصادية ، ونغلق الباب فى وجه الديون الخارجية والفوائد الربوية ؟

إن التفكير هو أول مراحل العمل ومن هنا كان التفكير عبادة .

الفهـرس

الموضوع	الصفحة


م. سرمد حاتم شكر